

أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيّ الصَّحَابِيُّ السَّفِيرُ الْقَائِدُ

بقلم : اللواء الركن محمود شيت خطاب *

« سَيِّدُ الْفَوَارِسِ أَبُو مُوسَى » (١)
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

نسبه

أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيّ هُوَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ بْنُ سُلَيْمٍ بْنُ خَضَّارٍ (٢) بْنُ حَرْبٍ بْنُ عَامِرٍ بْنُ غَنْمٍ بْنُ بَكْرِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ عَدِيٍّ (٣) بْنُ وَائِلٍ بْنُ نَاجِيَةَ بْنِ الْجُمَاهِرِ بْنِ الْأَشْعَرِ ، وَهُوَ نَبَتٌ بْنُ أَدَدَ بْنِ زَيْدٍ بْنُ يَشْجُبَ بْنِ عَرِيبَ بْنِ زَيْدٍ بْنُ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأَ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرَبَ بْنِ قَحْطَانَ (٤) .

* ورد لكاتب البحث ترجمة في العدد العاشر صفحة ٢٣٣ .

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى عن نعيم بن يحيى مرسلاً .

(٢) طبقات ابن سعد (١٠٥/٤) والاستيعاب (٩٧٩/٣) ، أما في : جمهرة أنساب العرب (٣٩٧) فورد : هَضَار .

(٣) جمهرة أنساب العرب (٣٩٧) ، أما في : طبقات ابن سعد (١٠٥/٤) ، فورد : عَذَر .

(٤) طبقات ابن سعد (١٠٥/٤) ، وانظر أنساب الأشراف (٢٠١/١) وجمهرة أنساب العرب (٣٩٧) .

أمّه : ظَبْيَةُ بنت وَهَب، من عَكَ^(١)، وقد كانت أسلمت وماتت بالمدينة^(٢). وكان لأبي موسى إخوة ، منهم : أبو عامر بن قيس ، وأبو بُرْدَة ابن قيس، وأبو رُهم بن قيس^(٣)، وإبراهيم بن قيس، ومَجْرِيّ^(٤) ، ونعود إلى ذكر لمحات من سيرتهم في الحديث على : « أبي موسى إنساناً » في هذا البحث بعد قليل .

وأبو موسى من الأشعريين ، من اليمن^(٥) ، وُلد بـ (زَيْد) ^(٦) باليمن . ولا نعرف شيئاً عن أيامه الأولى ، ولا علم لنا بتفاصيل حياته قبل إسلامه ، وقد بدأت تلك التفاصيل في الظهور بعد إسلامه لا قبل ذلك ، فسجّل له المؤرخون والمحدثون والفقهاء وكتاب السيرة كثيراً من الأحداث والحوادث قاضياً وسفيراً ووالياً وقائداً ، ومحدثاً وفقهياً ، وقاتلاً ومجاهداً ، فهو بحق ابن الإسلام ، عُرف بالإسلام ، ولم يُعرف قبل اعتناقه .

- (١) بنوعك بن الديث بن عدنان ، انظر : جمهرة أنساب العرب (٢٢٨).
 (٢) طبقات ابن سعد (١٠٥/٤) والاستيعاب (٩٧٩/٣) ، وفي المعارف (٢٦٦) : أن اسم أمّه : طَفِيّة ، وهو تصحيف من ظبية .
 (٣) المعارف (٢٦٦) .
 (٤) في جمهرة أنساب العرب (٣٩٧) ذكر إخوته : أبو رهم ، وإبراهيم ، وعامر أبو بردة ، ومجري ، وذكر المحقق في الهامش (٢) : مجدى صوابه بالراء وإن رسم خطأ بالدال في الإصابة (٧٧٢٣) .
 (٥) المعارف (٢٦٦) .
 (٦) زبيد : اسم واد به مدينة غلب عليها اسم الوادي فلا تُعرف إلا به ، وهي مدينة باليمن مشهورة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٥/٤) .

مع النبي صلى الله عليه وسلم المهاجر المجاهد :

قَدِمَ أبو موسى الأشعري مَكَّةَ مع إخوته في جماعة من الأشعريين ، فحالف سعيد بن العاص بن أمية أبا أُحِيحَهُ (١) ، ثم أسلم بمكة (٢) وأسلم إخوته معه (٣) ، وهاجر إلى أرض الحبشة (٤) ، وقيل : بل رجع إلى بلاده وقومه ولم يُهاجر إلى أرض الحبشة (٥) . والصحيح أن أبا موسى انصرف إلى قومه بعد إسلامه ، فأقام بها ، ثم قدم مع إخوته وبعض الأشعريين من قومه في نحو خمسين رجلاً في سفينة ، فألقَتْهُمُ الرِّيحُ إلى النَّجَاشِيِّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ ، فوافقوا خروج جعفر بن أبي طالب منها عائدين إلى المدينة المنورة ، فأتوا معهم . وقدمت السفينتان معاً . سفينة جعفر وأصحابه ، وسفينة أبي موسى وأصحابه الأشعريين ، على النبي صلى الله عليه وسلم ، حين فتح خيبر (٦) ، ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم بقدوم أبي موسى وجماعته من الأشعريين ، بشر أصحابه بمقدمهم قائلاً : « يقدم عليكم أقوام هم أرق منكم قلوباً » ، فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى . ولما دنوا من المدينة المنورة ، جعلوا يرتجزون : اليوم نَلْقَى الْأَحِيَّةَ مُحَمَّدًا وَصَحْبَهُ (٧) .

(١) سعيد بن العاص بن أمية : من أشراف قريش ، وهو جد سعيد بن العاص بن العاص الذي ورد ذكره في الإصابة (٩٨/٣) وأسَدُ الْغَابَةِ (٣٠٩/٢) والاستيعاب (٦٢١/٢) ، وانظر نسب أبي أحيحة في جمهرة أنساب العرب (٨٠) .

(٢) طبقات ابن سعد (١٦/٦) وأسَدُ الْغَابَةِ (٢٤٥/٢) والإصابة (١١٩/٤) والاستيعاب (٩٧٩/٣) .

(٣) المعارف (٢٦٦) .

(٤) سيرة ابن هشام (٤١٦/٣) وجوامع السيرة (٥٨) .

(٥) أسَدُ الْغَابَةِ (٢٤٥/٣) والإصابة (١١٩/٤) والاستيعاب (٩٨٠/٣) .

(٦) طبقات ابن سعد (١٠٦/٤) وأسَدُ الْغَابَةِ (٢٤٥/٣) والإصابة (١١٩/٤) والاستيعاب (٩٨٠/٣) .

(٧) طبقات ابن سعد (١٠٦/٤) .

ولما نزلت الآية الكريمة : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ (١) ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « هم قوم هذا » ، يعني : أبا موسى الأشعري (٢) .

وكانت خيبر أول مشاهد أبي موسى (٣) ، وكانت غزوة خيبر في شهر محرم من السنة السابعة الهجرية (٤) ، ولما فتح المسلمون خيبر كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشركوا جعفر وأصحابه بالغنيمة ، ففعلوا (٥) . نستطيع أن نتبين مما سبق ، أن إسلام أبي موسى الأشعري وإخوته كان قديماً ، فقد قدموا مكة للتكسب ، وكانت مكة مركزاً دينياً ومركزاً تجارياً ، يجد فيها من لا يجد في بلده وسيلة للعيش وعملاً يعينه على كسب قوته وقوت من يعول ، وكان أهل اليمن منذ القدم حتى اليوم يقصدون مكة للتكسب بوسيلة أو بأخرى . وكان لابد لمن يلجأ إلى مكة من موطنه ، أن يحالف أحد سادات قريش ليعيش في كنفه آمناً مطمئناً ، فحالف أبو موسى سعيد بن العاص أبا أحيحة ، فلما علم بأخبار النبي صلى الله عليه وسلم التي شاعت بين الناس في مكة وما حولها ومن حولها ، أسلم وأسلم إخوته الذين كانوا معه . ولم تقف قريش مكتوفة الأيدي تجاه الإسلام والمسلمين بعد تفشي الإسلام في مكة ، فقاومت الإسلام والمسلمين مقاومة لا هوادة فيها ولا رحمة فهاجر من هاجر من المسلمين إلى الحبشة وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب ، وعاد أبو موسى أدراجه إلى بلده اليمن وإلى قومه ، ليعيش بين

(١) الآية الكريمة من سورة المائدة (٥ : ٥٤) .

(٢) طبقات ابن سعد (١٠٧/٤) .

(٣) طبقات ابن سعد (١٦/٦) .

(٤) سيرة ابن هشام (٣٧٨/٣) وجوامع السيرة (١) ، وفي طبقات ابن سعد (١٠٦/٢) ، أنها كانت في شهر جمادى الأولى من سنة سبع الهجرية ، أما في أنساب الأشراف (٢٥٢/١) فإنها كانت في شهر صفر من سنة سبع الهجرية .

(٥) طبقات ابن سعد (١٠٨/٢) .

ظهرا نبيهم آمناً مطمئناً ، بعد أن انكشف اعتناقه للإسلام ، وتعرضه للأذى والتعذيب والإهانة بسبب إسلامه ، فكان أمام مسلكين لا ثالث لهما : إما الهجرة إلى أرض الحبشة مع المسلمين الآخرين الذين اختاروها داراً لهم لأنهم طوردوا في دارهم مكة وطردوا منها ، فأصبحوا بلا دار ، وإما العودة إلى بلده وقومه ، حيث داره وأهله ، فاختار الدار والأهل على الغربة والتغرب ، وعاد إلى مستقره الأول ولو إلى حين .

ولما علم أبو موسى بهجرة المسلمين إلى المدينة المنورة ، واستدعاء المسلمين إليها لإكمال حشدتهم في قاعدتهم الرئيسية ، توجه أبو موسى وإخوته الأشعريون وهم خمسون رجلاً ومعهم رجلان من بني عك إلى المدينة المنورة ، وقدموا في سفن في البحر ، وكانت السفن شراعية ، فجرفتها الرياح إلى أرض الحبشة ، حيث عاد أبو موسى وصحبه مع جعفر بن أبي طالب وصحبه . ولما وصلوا إلى المدينة ، وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره بخيبر . ثم لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبايعوا وأسلموا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأشعرون في الناس ، كصرة فيها مسك^(١) » .

وقد ذكر ذلك أبو بردة الأشعري أخو أبي موسى الأشعري ، فقال : « خرجنا من اليمن في بضع وخمسين رجلاً من قومنا ، ونحن ثلاثة إخوة : أبو موسى وأبو رهم ، وأبو بردة ، فأخرجتنا سفينتنا إلى النجاشي بأرض الحبشة وعنده جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، فأقبلنا جميعاً في سفينتنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر^(٢) » .

(١) طبقات ابن سعد (١/٩٨ - ٤٩) .

(٢) أسد الغابة (٥/١٤٥ - ١٤٦) .

وقال أبو موسى : « بلغنا مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين أنا وأخوان لي أنا أصغرهما ، أحدهما أبو بُرْدَة ، والآخر أبو رُهم ، وثلاثة وخمسون من قومي ، فركبنا السفينة فألقننا إلى النجاشي بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده ، فقال جعفر ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا هاهنا ، وأمرنا بالإقامة ، فأقيموا . فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً ، فوافقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر ، فأسهم لنا ، وما قسم لأحد غاب عن خيبر منها شيئاً إلا لمن شهد معه ، إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه » ، وهذا حديث صحيح^(١) ، وقال : « هاجرتم مرتين : هاجرتم إلى النجاشي ، وهاجرتم إليَّ »^(٢) .

لقد أسلم أبو موسى وإخوته قديماً بمكة ، ثم رجعوا إلى بلاد قومهم ، فلم يزالوا بها حتى قدموا هم وناس من الأشعريين على رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) ، فإسلام أبي موسى وإخوته قديم ، والذين قدموا معهم مسلمون أيضاً ، وإلا لما رافقوهم في رحلتهم إلى الإسلام ، لذلك كان إسلامهم من جديد في خيبر تجديداً للإسلام الذي اعتنقوه من قبل ، ولم يكن إسلاماً جديداً ، بل كان تجديداً للإسلام .

وبعد فتح مكة الذي كان في شهر رمضان من السنة الثامنة الهجرية^(٤) ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في شهر شوال إلى غزوة (حنين)^(٥) ، وبعد انهزام المشركين أرسل النبي صلى الله عليه وسلم السرايا لمطاردة المشركين المنهزمين ، وكان ممن أرسلهم أباعامر الأشعري^(٦)

(١) أسد الغابة (٣٠٩/٥) وانظر طبقات ابن سعد (١٠٥/٤ - ١٠٦) .

(٢) طبقات ابن سعد (١٠٦/٤) .

(٣) أسد الغابة (٣٠٨/٥) .

(٤) طبقات ابن سعد (١٣٤/٢) وجوامع السيرة (٢٢٦) .

(٥) طبقات ابن سعد (١٤٩/٢) .

(٦) أبو عامر الأشعري : انظر سيرته المفصلة في : أسد الغابة (٢٣٨/٥) والإصابة (١٢٠/٧) والاستيعاب (١٧٠٤/٤) .

في آثار مَنْ تَوَجَّهَ إلى وادي أوطاس - بين مكّة والطائف - وعقد له لواءً ، فكان معه في سريته سلمة بن الأكوع ^(١) ، فكان يُحدّث قائلًا : « لما انهزمت هوازن ، عسكروا بأوطاس عسكرياً عظيماً ، تفرّق منهم مَنْ تفرّق ، وقُتل مَنْ قُتل ، وأسر مَنْ أسر فانتهينا إلى عسكريهم فإذا هم ممتنعون ، فبرز رجل فقال : مَنْ يُبارز؟ فبرز له أبو عامر فقال : اللهم اشهد ! فقتله أبو عامر ، حتى قتل تسعة كذلك . فلما كان التاسع ، برز له فارس مُعلّمٌ . يَنْحُبُ ^(٨) للقتال ، فبرز له أبو عامر وقتله .

فلما كان العاشر ، برز رجل مُعلّمٌ بعمامة صفراء ، فقال أبو عامر : اللهم اشهد ! فقال صاحب العمامة الصفراء : اللهم لا تشهد ! فضرب أبا عامر ، فأثبته ، فاحتملناه وبه رمق ، واستخلف أبا موسى الأشعري ، وأخبر أبو عامر أبا موسى أن قاتله صاحب العمامة الصفراء . « وأوصى أبو عامر إلى أبي موسى ، ودفع إليه الراية وقال : « ادفع فرسي وسلاحي للنبي صلى الله عليه وسلم : وقاتلهم أبو موسى ، حتى فتح الله عليه ، وقتل قاتل أبي عامر وجاء بفرسه وتركته إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : « إن أبا عامر أمرني بذلك ، وقال : قل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لي » ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلّى ركعتين ، ثم قال : « اللهم اغفر لأبي عامر ، واجعله من أعلى أمتي في الجنة » ، وأمر بتركة أبي عامر ، فدُفعت إلى ابنه . فقال أبو موسى : « إني أعلم أن الله قد غفر لأبي عامر يا رسول الله ، قُتل شهيداً ، فادعُ الله لي » ، فقال : « اللهم اغفر لأبي موسى ، واجعله في

(١) سلمة بن الأكوع : انظر سيرته المفصلة في : أسد الغابة (٣٣٣/٢) والإصابة (١١٨/٣) والاستيعاب (٦٣٩/٢ - ٦٤٠) وطبقات ابن سعد (٣٠٥/٤ - ٣٠٨) وأنساب الأشراف (٣٥١/١) .

(٢) نحب أجهد السير ، انظر الصحاح (٢٢٢) .

أَعْلَى أُمَّتِي^(١)»، وقيل : إنَّ أبا موسى قتل يومئذ تسعة إخوة من المشركين : يدعو كل واحد إلى الإسلام ، ثم يحمل عليه فيقتله^(٢)، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم له قائلاً : «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَدْخِلاً كَرِيماً»^(٣) .

ولما أراد النبي صلى الله عليه وسلم العودة إلى المدينة المنورة، استعمل عَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ^(٤) على مَكَّةَ، وخلف مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ^(٥) وأبا موسى الأشعري يعلمان الناس القرآن والفقه في الدين. وقال عليه الصلاة والسلام لعَتَّابُ: «أتدري على مَنْ استعملتك؟»، قال: «اللَّهُ ورسوله أعلم!» قال: «استعملتك على أهل الله! بَلِّغْ عَنِّي أَرْبَعًا: لَا يَصْلُحُ شَرُطَانِ فِي بَيْعٍ، وَلَا بَيْعٌ وَسَلْفٌ وَلَا بَيْعٌ مَا لَمْ يُضْمَنْ، وَلَا تَأْكُلْ رِيحَ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ»^(٦) .

السفير النبوي

كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك اليمن من أبناء عبد كلال من حمير ، يدعوهم إلى الإسلام وكان نص الكتاب النبوي إليهم :

«بسم الله الرحمن الرحيم»

إلى : الحارث ومسروح^(٧) (الصَّوَابُ شَرْحِيْل) ونُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ كَلَالٍ سَلِّمُ أَنْتُمْ مَا آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَنْ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، بَعَثَ مُوسَى

(١) مغازي الواقدي (٩١٥/٣ - ٩١٦) وانظر فتح الباري بشرح البخاري (٣٥/٨) حول دعا، النبي صلى الله عليه وسلم لأبي موسى .

(٢) جوامع السيرة (٢٤١) .

(٣) فتح الباري ، بشرح البخاري (٣٥/٨) .

(٤) عتاب بن أسيد : انظر سيرته المفصلة في : أسد الغابة (٢٥٨/٣ - ٢٥٩) والإصابة (٢١١/٤ - ٢١٢) والاستيعاب (١٠٢٣/٣ - ١٠٢٤) والمعارف (٢٨٣) .

(٥) انظر سيرته المفصلة في كتاب : سفراء النبي صلى الله عليه وسلم .

(٦) مغازي الواقدي (٩٥٩/٣) .

(٧) ليس لمسروح ذكر في المصادر المعتمدة ، ولا أخ لأبناء عبد كلال بهذا الاسم ، والأخ المعروف لأبناء عبد كلال هو : شرحبيل ، ويمكن أن يكون هذا التغيير من خطأ النساخ .

بآياته ، وخلق عيسى بكلماته وقالت اليهود : عَزِيزٌ . ابن الله ، وقالت
النصارى : الله ثالثُ ثلاثة ، عيسى ابن الله (١) »

الله

علامة الختم : رسول

محمد

وقد حمل هذا الكتاب النبوي إلى هؤلاء الملوك اليمنيين من أبناء
عبد كلال المهاجرين أمية المخزومي (٢). وقد أرسل الكتاب بعد فتح مكة
لا قبل الفتح ، لأن مكة كانت قبل فتحها بيد المشركين ، وكانت الحاجز بين
المنطقة الإسلامية التي مقرها المدينة ، وبين المنطقة غير الإسلامية التي مقرها
مكة ، وتمتد إلى الجنوب عمقاً لتشمل اليمن وجنوبي الجزيرة العربية .

وقد كاتب النبي صلى الله عليه وسلم أهل اليمن سنة تسع من
الهجرة (٣) ، لا قبلها . وفي شهر رمضان من السنة التاسعة الهجرية ، قدم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ملوك حمير مقدمه من غزوة
تبوك ، وحمل كتاب ملوك حمير بإسلامهم : مالك بن مرارة الرهاوي ،
وهؤلاء الملوك هم : الحارث بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال ، والنعمان
قيل (٤) ذي رعين (٥) وهمدان (٦) ، ومعاfer (٧) . كما بعث زُرعة ذو يزن إلى

(١) طبقات ابن سعد (١/٢٨٢ - ٢٨٣)

(٢) انظر سيرته المفصلة في كتاب : سفراء النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) أسد الغابة (٣/٣٦٨) .

(٤) القيل : يقال هو الملك ، ويقال هو دون الملك الأعلى ، وهذا هو الأكثر ، وسمي بذلك لأنه ذو
القول ، أي الذي إذا قال لم يرد أحد قوله .

(٥) رعين : مخلاف (محافظة) من مخاليف اليمن ، سمى بالقبيلة اليمنية باسم : ذي رعين ، واسمه
: يرين بيائين ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٢٦٣) .

(٦) همدان : قبيلة يمنية مشهورة ، النسبة إليها : همداني ، انظر التفاصيل في جمهرة أنساب
العرب (٣٩٣ - ٣٩٥) و (٤٧٥ - ٤٧٦) .

(٧) معاfer : مخلاف (محافظة) باليمن ، تنسب إليها الثياب المعافرية ، سمى بالقبيلة اليمنية :
معاfer بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة ، ويمتد نسبة إلى سبأ ، انظر التفاصيل في معجم البلدان
(٨/٩٢) .

النبي صلى الله عليه وسلم مع مالك بن مُرارة الرَّهاوي أيضاً بإسلامه وإسلام ملوك اليمن من أبناء عبد كُلال ومفارقتهم الشَّرك وأهله (١) .

وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن كتاباً يُخبرهم فيه بشرائع الإسلام وفرائض الصَّدقة والمواشي والأموال ، ويوصيهم بأصحابه ورسله خيراً ، وكان رسوله إليهم مُعاذ بن جَبَل ومالك بن مُرارة (٢) .

وقد حمل مُعاذ ومالك هذا الكتاب النبويّ إلى اليمن بعد شهر رمضان من السنة التاسعة الهجرية : في شهر شوّال أو شهر ذي القعدة من السّنة التّاسعة الهجرية ، فهذا هو الوقت المناسب لإرسال هذا الكتاب النبوي الجوابي على رسالة ملوك اليمن التي حملت نبأ إسلامهم .

-
- (١) طبقات ابن سعد (٣٥٦/١) وسيرة ابن هشام (٢٥٨/٤) والطبري (١٢٠/٣) وإعلام السائلين لابن طولون (١٥) واليعقوبي (٨٧/٢) وإمتاع الأسماع للمقريزي (٤٩٥/١) .
- (٢) انظر نص الكتاب في : الطبري (١٢١/٣ - ١٢٢) وسيرة ابن هشام (٢٥٩/٤ - ٢٦٠) واليعقوبي (٨٧/٢ - ٨٩) وأسد الغابة (٢٠٣/٢) والإصابة (٢٩٣/٤) والقسطلاني (٢٧٩/١) ، وقد أخرجه أبو داوود وابن حبان والدارمي ، انظر الإصابة (٢٩٣/٤) ، وانظر النص في كنز العمال (٤٩٤ - ٤٩٦) على هامش مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وانظر تفاصيل المصادر والمراجع في مجموعة الوثائق السياسية (١٤٤ - ١٤٨) .

وفي سنة عشر الهجرية ، أسلم باذان عامل كسرى على اليمن وبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامه (١) ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جمع لباذان الفارسي حين أسلم وأسلمت اليمن عمل اليمن كلها ، وأمره على جميع مخاليفها ، فلم يزل عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام حياته ، فلم يعزله عنها ولا عن شيء منها ، ولا أشرك معه شريكاً حتى مات باذان ، فلما مات فرّق عمل اليمن بين جماعة من أصحابه ، وكان ذلك سنة عشر الهجرية بعد حجة الوداع ، فكان من عماله عليه الصلاة والسلام أبو موسى الأشعري (٢) ، وبهذا أصبح أبو موسى عاملاً من عمال النبي صلى الله عليه وسلم (٣) .

ولكنّ أبا موسى الأشعري ، قبل أن يصبح عاملاً من عمال النبي صلى الله عليه وسلم ، كان رسولاً من رسله إلى ملوك زمانه ، أو ما نطلق عليه في المصطلحات السياسية الحديثة : سفيراً من سفراء النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد أرسل أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى جملة اليمن داعين إلى الإسلام ، فأسلم عامة أهل اليمن : ملوكهم ، وسوقتهم (٤) . نستدلّ من ذلك ، أنّ أبا موسى كان في اليمن حين توفي باذان الفارسي ، ففرّق النبي صلى الله عليه وسلم عماله على مخاليف اليمن ، فالتحق أبو موسى بمنصبه الجديد عاملاً بالإضافة إلى واجبه الأصلي سفيراً وقاضياً ومرشداً وداعياً إلى الإسلام ، يُعلّم الناس القرآن وشرائع الإسلام ، ويقبض الصدقة ، ويوزّعها على مستحقيها من أهل مخاليفه ، ويرسل ما تبقى منها إلى عامل العمال معاذ بن جبل (٥) .

(١) الطبري (١٥٨/٣) ، وباذان = باذام ، وانظر ما جاء على باذان في : أسد الغابة (١٦٣/١) .

(٢) الطبري (٢٢٧/٣ - ٢٢٨) .

(٣) انظر أسماء عماله عليه الصلاة والسلام في : أنساب الأشراف (٥٢٩/١) .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (٣٠/١) .

(٥) أنساب الأشراف (٥٢٩/١) .

فمتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا موسى سفيراً إلى اليمن؟ لا نصّ لدينا يشير إلى ذلك ، وأرجّح أنّه بعثه مع مُعَاذ بن جَبَل ، الذي قصد اليمن في شهر شَوَّال أو شهر ذي القعدة من السنة التاسعة الهجرية ، فقد رأينا أنّ أبا موسى كان مع مُعَاذ في مَكَّة بعد فتحها يُعلِّمان النَّاس القرآن والفقّه في الدين (١) ، وأنّه أرسلهما معاً إلى جملة اليمن داعين إلى الإسلام كما ذكرنا ذلك قبل قليل ، فمن المرجّح أنهما قصدا اليمن في وقت واحد ، ليتعاونوا في تأدية واجبهما في الدّعوة إلى الله .

وكان الكتاب النبوي الذي حمّله مُعَاذ بن جَبَل إلى أهل اليمن يخبرهم فيه بشرائع الإسلام وفرائض الصّدقة والمواشي والأموال ، ويوصيهم بأصحابه ورسله خيراً (٢) ، وهو الذي طبق في اليمن كلّها لا في منطقة من مناطقها حسب ، وهو الذي أصبح سنّة نبويّة لا تزال تُطبّق حتى اليوم ، وقد نفّذ ما جاء فيه نصّاً وروحاً جميع سفراء النبي صلى الله عليه وسلم وعمّاله ، ولم يقتصِر على مُعَاذ ومن جاء ذكرهم في ذلك الكتاب .

ولعلّ الدليل العملي على نجاح أبي موسى سفيراً في اليمن ، هو إقراره على واجبه ، وتكليفه بواجب إضافي جديد ، هو أن يصبح عاملاً من عمّال النبي صلى الله عليه وسلم على منطقة شاسعة من مناطق اليمن ، ولو لم ينجح في مهمته سفيراً لما أقر على عمله ، وأضيف إليه عمَلٌ جديد .

(١) مغازي الواقدي (٩٥٩/٣) .

(٢) انظر نص الكتاب في الطبري (١٢١/٣ - ١٢٢) وسيرة ابن هشام (٢٥٩/٤ - ٢٦٠)

واليعقوبي (٨٧/٢ - ٨٩) .

الثقة

كان أبو موسى موضع ثقة النبي صلى الله عليه وسلم به ، فقد كان أحد اثنين أذنا عليه (١) : الأول ربّاح الأسود مولاه (٢) ، والثاني أبو موسى الأشعري ، وهذا دليل على مبلغ ثقة النبي صلى الله عليه وسلم به وبعقله وحسن تصرفه وأمانته وصدقه .

ولما ولد لأبي موسى غلام ، أتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، فسمّاه : إبراهيم ، وحنّكه بتمرة (٣) ، وهذا دليل على مبلغ حب النبي صلى الله عليه وسلم لأبي موسى ، ومبلغ تقديره له .

ولما توفّي باذان سنة عشر الهجرية وزّع النبي صلى الله عليه وسلم عمل اليمن على قسم من أصحابه ، وكان ذلك بعد حجة الوداع ، فكان أبو موسى أحد عمّاله ، فولّاه زبيد (٤) وعدن (٥) ورمع (٦) والسّاحل (٧) ، فكان

(١) جوامع السيرة (٢٧) .

(٢) ربّاح الأسود : انظر سيرته في أسد الغابة (١٩٠/٢) والإصابة (١٩٣/٢) والاستيعاب (٤٨٧/٢) .

(٣) طبقات ابن سعد (١٠٧/٤) .

(٤) زبيد : اسم واد به مدينة يقال لها : الحُصْب ، ثم غلب عليها اسم الوادي ، فلا تُعرف إلّا به ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٥/٤ - ٣٧٦) ، وهي مدينة يمنية على واد مشهور في اليمن .
(٥) عدن : مدينة مشهورة على ساحل بحر العرب من ناحية اليمن رديئة لا ماء بها ولا مرعى ، وعدن مرفأً لمراكب الهند وغيرها والتجار يجتمعون إليه ، فإنها بلدة تجارة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٢٦/٦ - ١٢٨) .

(٦) رمع : قرية أبي موسى ببلاد الأشعريين قرب غسان وزبيد ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٨٥/٤) .

(٧) السّاحل : موضع من أرض العرب بعينه ، انظر معجم البلدان (٧/٥) ، ويطلق على : ساحل المندب ، انظر معجم البلدان (٣٧٦/٤) وانظر تولية أبي موسى في : الإصابة (١١٩/٤) وجوامع السيرة (٢٣) والطبري (٢٢٨/٣) وابن الأثير (٣٣٦/٢) وأنساب الأشراف (٥٢٩/١) وتاريخ خليفة بن خياط (٦٢/١) .

في هذه المنطقة الواسعة والياً وقاضياً ومعلماً ومُرشدًا وداعياً ، وهي موطنه الأصلي وبين قومه الذين استجابوا له وعاونوه على تحمّل أعباء واجباته وتعاونوا معه في معالجة ما صادفه من معضلات ومشاكل ، وأعانوه على حلّها بسهولة ويُسر .

ولم يُعزل أبو موسى عن عمله في اليمن ، كما لم يُعزل غيره من عمّالها في حياة النبيّ صلى الله عليه وسلم ^(١) ، حتى ظهر الأسود العنسيّ في اليمن ، وارتدّ مَنْ ارتدّ معه ، فانحاز أبو موسى مقتحماً حَضْر موت ^(٢) حتى نزل السكاسك ^(٣) حيث بدأ العمل مع إخوانه للقضاء على المرتدين ^(٤) .

كلّ ذلك يدلّ دلالة واضحة على أنّ أبا موسى كان موضع ثقة النبيّ صلى الله عليه وسلم الكاملة به ، فقربه واعتمد عليه في كثير من الأعمال .

لقد نال أبو موسى ، شرف الصّحبة ، وشرف الجهاد تحت لواء النبيّ صلى الله عليه وسلم وتحت ألوّية الإسلام ، وشرف العمل في الإدارة والقضاء والدعوة والإرشاد لخدمة الإسلام والمسلمين .

(١) الطبري (٢٢٩/٣) .

(٢) حَضْر مَوْتٌ : بلاد واسعة شرقيّ عدن بقرب البحر ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٩٢ - ٢٩٥) .

(٣) بنو السكاسك بن أشرس بن كِنْدَة بن عَدِي بن الحارث بن مرة بن أدّ بن زيد بن يَشْجُب ابن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَّأ ، انظر التفاصيل في جمهرة أنساب العرب (٤١٨ - ٤٣١) .

(٤) انظر التفاصيل في الطبري (٢٢٧/٣ - ٢٣٠) .

جماده

١ - في حرب الردّة :

أ - اسم الأسود العنسيّ : عَيْهَلَة بن كعب بن عَوْف العنسيّ ، وعَنَس بطن من مَذْحِج ، وكان يُلقَّب : ذا الخِمار ، لأنه كان مُعْتَمّاً مُتَخَمِّراً أبداً .
وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم قد جمع لباذان حين أسلم وأسلم أهل اليمن عمل اليمن جميعه ، وأمره على جميع مَخاليفه ، فلم يزل عاملاً عليه حتى مات . فلما مات باذان فرّق رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراءه في اليمن (١) ، ومنهم كما ذكرنا - أبو موسى ، وكان مُعَاذ بن جَبَل يتنقل في عمالة كلّ عامل باليمن وحَضْرَمَوْت .

ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ، وقرّض من السّفَر غير مرضه الأخير ، بلغ الأسود ذلك ، فادّعى النبوة ، وكان مُشْعَبِذاً يريهم الأعاجيب ، فاتبعته مَذْحِج . وكانت ردّة الأسود أول ردّة في الإسلام ، على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزا الأسود نَجْران ، فأخرج عنها مَنْ قاومه من المسلمين ، وسار عن نجران إلى صنعاء ، فأنحاز مُعَاذ بن جبل إلى أبي موسى ، فلحقا بحضر موت .

واستتبّ الأمر للأسود في اليمن ، ولحق أمراء اليمن بجبال عَكَّ وجبال صنعاء ، وغلب الأسود على ما بين مفازة حضر موت إلى الطائف إلى البحرين والإحساء وعدن ، واستطار أمره كالخريق واستغلظ .

وكان الأسود قد تزوّج امرأة شهر بن باذان بعد قتله ، وخاف مَنْ بحضرموت من المسلمين أن يبعث إليهم جيشاً أو يظهر بها كذاب آخر ، فتزوّج مُعَاذ إلى السكُون (٢) ، فعطفوا عليه .

(١) انظر أسماء أمراء النبيّ صلى الله عليه وسلم في اليمن وحضر موت في : الطبري (٢٢٨/٣) - (٢٢٩) وابن الأثير (٣٣٦/٢) .

(٢) السكُون بن أَشْرَس بن كِنْدَة بن عديّ بن الحارث بن مُرّة بن أدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عريب ابن زيد بن كهلان بن سبأ ، انظر التفاصيل في جمهرة أنساب العرب (٤١٨ - ٤٢٩) .

وجاء إليهم وإلى مَنْ باليمن من المسلمين ، كتبُ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، يأمرهم بقتال الأسود ، فقام مُعَاذُ بن جَبَل في ذلك ، وقويت نفوس المسلمين ، وعاونوه أمراء النبيّ صلى الله عليه وسلم والمسلمون في اليمن ، فقتل فيروز (١) الأسود في بيت زوجته التي كانت امرأة شهر بن باذان وتزوجها الأسود من بعده ، وهي ابنة عم فيروز وتراجع المسلمون إلى أعمالهم ، وعاد أبو موسى إلى عمله ، وكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبره ، وذلك في حياته الكريمة ، ولكن رُسُل أهل اليمن قدمت المدينة ، وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أول أمر العنسي إلى آخره ثلاثة أشهر ، وقيل : قريب من أربعة أشهر ، وكان قدوم البشير بقتله في آخر ربيع الأول من سنة إحدى عشرة الهجرية بعد موت النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فكان أول بشارة أتت أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو في المدينة (٢) .

وهكذا انتهت فتنة الأسود العنسيّ بالإخفاق الذريع ، وعادت الأمور في اليمن إلى مجراها الطبيعي .

ب - ولما هلك الأسود العنسيّ ، بقي طائفة من أصحابه يترددون بين صنعاء ونَجْران ، لا يأوون إلى أحد . ومات النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فارتدّ الناس . وكان العكّ أول منتقض ، ثمّ تجمّع عكّ والأشعريون ، فصاولهم مَنْ ثبت على الإسلام من عكّ وانتصروا عليهم .

وأما أهل نَجْران ، فلما بلغهم موت النبيّ صلى الله عليه وسلم ، أرسلوا وفداً ليجددوا عهدهم مع أبي بكر ، فكتب بذلك كتاباً .

(١) انظر سيرته في أسد الغابة (١٨٦/٤) .

(٢) انظر التفاصيل في : الطبري (٢٢٧/٣ - ٢٤٠) وابن الأثير (٢٣٦/٢ - ٢٤١) .

وأما بجيلة ، فإن أبا بكر ردّ جرير بن عبد الله البجليّ ، وأمره أن يستنفر من قومه مَنْ ثبت على الإسلام ، ويقا تل بهم مَنْ ارتدّ عن الإسلام فخرج جرير وفعل ما أمره به أبو بكر ، فلم يقم له أحد إلا نفر يسير ، فقتلهم وتبعهم .

وكان مصير مَنْ ارتد من أهل اليمن مصير مَنْ ارتد من بجيلة وعك والأشعريين ، فعاد المرتدون إلى الإسلام بعد أن تكبدوا خسائر فادحة بالأرواح والأموال (١) ، وكان ذلك سنة إحدى عشرة الهجرية وكان لثبات أبي موسى وأمراء النبيّ صلى الله عليه وسلم الآخرين مع مَنْ ثبت على الإسلام أثر كبير في انتصار المسلمين على أهل الردّة من أهل اليمن وعودتهم إلى الإسلام .

وبقي أبو موسى على زبيد ورمع وعدن والساحل طيلة أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٢) .

٢ . في الفتوح

أ - أثر أبو موسى بعد وفاة أبي بكر الصديق ، أن يصبح غازياً على أن يبقى والياً . فحقق له عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أراد .

وكان ميدان جهاد أبي موسى ، هو ميدان العراق ، بقيادة سعد بن أبي وقاص ، وفي سنة سبع عشرة الهجرية ، كتب عمر إلى سعد : « إذا فتح الله الشام والعراق ، فابعث جنداً إلى الجزيرة ، وأمر عليه خالد ابن عرْفُطة أو هاشم بن عتبة أو عياض بن غنم (٣) » ، فقال سعد : ما آخر أمير المؤمنين عياضاً إلا لأنّ له فيه هوى ، وأنا مولّيه » ، فبعثه وبعث معه جيشاً فيه أبو موسى الأشعري .

(١) انظر التفاصيل في : الطبري (٣١٨/٣ - ٣٤٢) وابن الأثير (٢٧٤/٢ - ٢٨٣) .

(٢) الطبري (٤٢٧/٣) وابن الأثير (٤٢١/٢) .

(٣) انظر سيرة خالد بن عرْفُطة وهاشم بن عتبة وعياض بن غنم في : قادة فتح العراق والجزيرة .

وسار عياض ونزل بجنده على الرّهاء (١) ، فصالحه أهله على مثل صلح حرّان (٢) ، وبعث أبا موسى إلى نصّيين (٣) فافتتحها (٤) .

ولا نعلم بالضبط ، متى سمح عمر بن الخطاب لأبي موسى بالتّخليّ عن ولايته في اليمن والإقبال على الجهاد في ساحاته ، فقد توفي أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وأبو موسى أحد عمّاله في اليمن ، وكانت وفاة أبي بكر في شهر ذي القعدة من سنة ثلاث عشرة الهجرية (٥) ، ولم يُذكر أبو موسى في سُوّح الجهاد إلّا في سنة سبع عشرة ، فهل بقي في اليمن هذه المدة ، أم غادرها دون أن يذكر المؤرخون عن تاريخ مغادرته شيئاً ؟

كما أن أبا موسى لم يفتح نصّيين ، ولم يكن مع عياض بن غنم فاتح الجزيرة ، وقد ذكرنا ذلك لإحقاق الحق ، وفتح الجزيرة مبسوط في كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة .

ولم يلتحق أبو موسى بأبي عبيدة بن الجراح بأرض الشام بعد فتح الجزيرة ، فشهد بعض فتوحات الشام تحت لواء أبي عبيدة (٦) ، كما لم يكن مع أبي عبيدة حين مات بالطّاعون (٧) لأنّه كان سنة سبع عشرة الهجرية وثمانية عشرة الهجرية والياً على البصرة وفي الفتوح في مناطق شرق العراق كما سنذكر ذلك وشيكاً ، إذ كان أبو موسى حينذاك في

(١) الرّهاء : مدينة تقع على أحد روافد نهر البليخ ، وكانت مدينة محصنة.

(٢) حرّان : تقع شرقي الفرات ، قرب منبع نهر البليخ ، وهي مدينة الصابئين ، وهي مدينة نزهة عليها حصن من حجارة حسن البناء ، وسورها مبني بالحجارة ، بينها وبين الرّهاء يوم ، وبين الرقة وبينها يومان .

(٣) نصّيين : مدينة عامرة من بلاد الجزيرة ، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ ، وبينها وبين الموصل ستة أيام ، تقع على نهر الهرماس .

(٤) ابن الأثير (٥٣٢/٢) ، وانظر الطبري (٥٣/٤) .

(٥) العبر (١٦/١)

(٦) الإصابة (١٢٠/٤) .

(٧) الطبري (٦١/٤) وأسد الغابة (٢٤٦/٣) .

البصرة ولم يكن في الشام ، وقد ذكرنا ما ذكرنا لنُبِّه عليه (١) .

ب - ولما عزل عمر بن الخطاب المغيرّة بن شُعْبَة (٢) عن البصرة ، استعمل أبا موسى الأشعري عليها ، وذلك سنة سبع عشرة الهجرية (٣) ، وكانت البصرة حينذاك من أكبر القواعد الإسلامية في المشرق الإسلامي ، منها تُسَيَّر الجيوش لفتوح المشرق .

وكتب كسرى يزْدَجَرْد إلى أهل فارس ، وهو يومئذ بـ (مَرَوْ) (٤) يذكرهم الأحقاد ويؤنّبهم ، « أن قد رضيتم يا أهل فارس ، أن قد غلبتكم العرب على السّواد وما والاه ، والأهواز ، ثم لم يرضوا بذلك حتى تورّدوكم في بلادكم وعُقر داركم !! » ، فتحرّكوا وتعاهدوا وتواتقوا على النصر .

وجاءت الأخبار إلى عمر بن الخطاب والمسلمين في كلّ مكان ، فكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص في الكوفة : « أن ابعث إلى الأهواز بعثاً كثيفاً مع النُّعْمان بن مُقَرَّن (٥) ، وعَجَل . وابعث سُوَيْد بن مُقَرَّن (٦) ، وعبد الرحمن بن ذي السّهمين (٧) ، وجريّر بن عبد الله الحميري (٨) ،

(١) ابن الأثير (٢/٥٦٠) .

(٢) انظر سيرته المفصّلة في كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة (٤٣١ - ٤٥٥) .

(٣) الطبري (٤/٦٩) وابن الأثير (٢/٥٤٠) ، وانظر طبقات ابن سعد (٤/١٠٩) والإصابة (٤/١١٩) .

(٤) مرو : أشهر مدن خراسان وقصبتها ، وهي مَرَوْ الشَّاهْجَان وهي مرو العظمى ، ومَرَوْ الرُّوذ وهي قريبة من الأولى ، انظر التفاصيل في : معجم البلدان (٨/٣٢ - ٣٨) .

(٥) انظر سيرته المفصّلة في : قادة فتح بلاد فارس (٩٧ - ١٠٧) .

(٦) انظر سيرته المفصّلة في : قادة فتح بلاد فارس (١٩٥ - ٢٠١) .

(٧) عبد الرحمن بن ذي السّهمين : من أبناء معاوية ذي السّهمين بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صُعَصَعَة ، انظر جمهرة أنساب العرب (٢٨١) .

(٨) جريّر بن عبد الله الحميري : انظر سيرته في أسد الغابة (١/٢٧٩) والإصابة (١/٢٤٣) .

وجريـر ابن عبد الله البجلي^(١) ، فليـنزلوا بإزاء الهرمزان^(٢) حتى يتبينوا أمره .

وكتب إلى أبي موسى في البصرة : أن ابعث إلى الأهواز جنـداً كثيفاً ، وأمر عليهم سهل بن عدي^(٣) - أخا سهيل بن عدي^(٤) - وابعث معه البراء بن مالك^(٥) ، وعاصم بن عمرو^(٦) ، ومجزأة بن ثور^(٧) ، وكعب بن سور^(٨) ، وعرفجة بن هرثمة^(٩) ، وحذيفة بن محصن^(١٠) ، وعبد الرحمن بن سهل^(١١) ، والحصين بن معبد^(١٢) ، وعلى أهل الكوفة وأهل البصرة جميعاً أبو سبرة بن أبي رهم^(١٣) ، وكل من أتاه فمدد له «^(١٤) .

- (١) جريـر بن عبد الله البجلي : انظر سيرته في : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٥٦ - ٣٧١) .
 (٢) الهرمزان : قائد من قادة الفرس ، أسـر ، وعاش بالمدينة واتهم بقتل عمر بن الخطاب ، فقتله عبيد الله بن عمر بن الخطاب .
 (٣) سهل بن عدي : انظر سيرته في أسد الغابة (٣٦٨/٢) والإصابة (١٤١/٣) .
 (٤) سهيل بن عدي الأنصاري الحزرجي : انظر سيرته المفصلة في : قادة فتح العراق والجزيرة .
 (٥) البراء بن مالك : انظر سيرته في أسد الغابة (١٧٢/١) والإصابة (١٤٧/١) والاستيعاب (١٥٣/١) .
 (٦) عاصم بن عمرو التميمي : انظر سيرته المفصلة في : قادة فتح فارس (٢٧٩ - ٢٨٩) .
 (٧) مجزأة بن ثور السدوسي : انظر سيرته في أسد الغابة (٣٠٢/٤) والإصابة (٤٤/٦) .
 (٨) كعب بن سور الأزدي : انظر سيرته في أسد الغابة (٣٤٣/٤) والإصابة (٣٢٢/٥) .
 (٩) عرفجة بن هرثمة البارقـي : انظر سيرته المفصلة في قادة فتح العراق والجزيرة (٣٨٧ - ٣٩٤) .
 (١٠) حذيفة بن محصن البارقـي : انظر سيرته في أسد الغابة (٣٨٩/١) .
 (١١) عبد الرحمن بن سهل الأنصاري : انظر سيرته في أسد الغابة (٢٩٩/٣) والإصابة (١٦٢/٣) - (١٦٣) .
 (١٢) الحصين بن معبد بن النعمان : قتل في معركة الجمل مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة ست وثلاثين الهجرية ، انظر الطبري (٥١٥/٤) ، وانظر أخباره في الطبري (٥٠٣/٣) و (٨٤/٤) و (٥١٥) ، وهو من أهل الكوفة .
 (١٣) أبو سبرة بن أبي رهم القرشي العامري : انظر سيرته المفصلة في : قادة فتح بلاد فارس (١٥٥ - ١٦٠) .
 (١٤) الطبري (٨٣/٤ - ٨٤) .

و خرج النُّعْمان بن مُقَرَّن في أهل الكوفة ، فأخذ وسط السَّواد حتى قطع دِجْلَةَ بحبال مَيْسَانَ (١) ، ثم أخذ البرَّ إلى الأهواز على البغال يجنبون (٢) الخيل ، وسار قُدماً نحو الهُرْمَزَان - والهُرْمَزَان يومئذ برامهرمز (٣) - فلما سمع الهُرْمَزَان بمسير النُّعْمان إليه ، بادره بالهجوم عليه ، ورجا أن يهزمه ، وطمع في نصر أهل فارس ، وقد أقبلوا نحوه ، ونزلت أوائل إمداداتهم قريباً منه . والتقى النُّعْمان والهُرْمَزَان ، ب : أَرُبُك (٤) ، فانتصر النُّعْمان على الهُرْمَزَان ، وأخلى رامهرمز وتركها ، ولحق ب (تُسْتَر) (٥) . وسار النُّعْمان من أَرُبُك حتى نزل برامهرمز ، ثم صعد لأَيْذَج (٦) ، فصالحه قائدها عليها ، فقبل منه وتركه ورجع إلى رامهرمز وأقام بها .

ولما سار النُّعْمان في أهل الكوفة وسبق سهل بن عَدِيٍّ في أهل البصرة ، قصد سهل ومن معه تُسْتَرَ للقضاء على قوات الهُرْمَزَان فيها ، ومال النُّعْمان إلى تُسْتَرَ أيضاً ، ونزلوا جميعاً : أهل البصرة ، وأهل الكوفة ، على تُسْتَرَ ، وقصدها معهم المسلمون الذين كانوا في الأهواز ، وبها الهُرْمَزَان وجنوده من أهل فارس وأهل الجبال والأهواز في الخنادق . وكتب المسلمون بذلك إلى عمر بن الخطّاب ، واستمده أبو سَبْرَةَ ، فأمدّهم بأبي موسى .

(١) ميسان : كورة واسعة كثيرة القرى والتخيل ، تقع بين البصرة ومدينة واسط ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٢٤/٨) .

(٢) يقال : جنب الدابة ، إذا قادها إلى جنبه .

(٣) رامهرمز : ومعنى رام بالفارسية ، المراد والمقصود ، وهرمز أحد الأكاسرة ، فكأن هذه اللفظة مركبة معناها : مقصود هرمز أو مراد هرمز ، وهي مدينة مشهورة بنواحي خوزستان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢١/٤) والمسالك والممالك (٦٤) .

(٤) أربك : بلد وناحية ذات قرى ومزارع من نواحي الأهواز ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٧٢/١) .

(٥) تستر : أعظم مدينة في الأهواز ، وهي شوشتر ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٨٦/٢) .

(٦) أيذج : كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان ، وهي أجل مدن هذه الكورة ، تقع وسط الجبال ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٨٥/١) .

وكان على أهل الكوفة النُّعمان ، وعلى أهل البصرة أبو موسى ، وعلى الفريقين أبو سَبْرَة ، فحاصروهم أشهراً ، وأكثروا فيهم القتل . وزاحفهم الفُرس في أيام تُسْتَر ثمانين زَحْفاً في حصارهم : يكون عليهم مرّة ، ولهم أخرى .

وأخيراً هزمهم المسلمون حتى أدخلوهم خنادقهم ، ثم اقتحموها عليهم ، وطوّقوا مدينتهم تطويقاً كاملاً ، حتى فتحوا المدينة وأسروا الهُرْمزان .

وخرج أبو سبرة في أثر المنهزمين من الفرس من تُسْتَر يطاردهم ، وكانت فلول الفُرس قد قصدت السُّوس ^(١) ، وخرج بالنُّعمان وأبي موسى ومعهما الهُرْمزان ، حتى طوّقوا السُّوس ، وكتبوا بذلك إلى عمر ، فكتب عمر إلى أبي موسى فردّه إلى البصرة ، فانصرف أبو موسى إلى البصرة ^(٢) .

وقبل فتح تُسْتَر ، كان قد قدم وفد من وجوه أهل فارس إلى أبي موسى لمفاوضته ، فقال رئيس الوفد لأبي موسى : « إنّنا قد رغبتنا في دينكم فنُسلم على أن نقاتل معكم العجم ، ولا نقاتل معكم العرب ، وإن قاتلنا أحد من العرب منعمونا منه ، وننزل حيث شئنا ، ونكون فيمن شئنا منكم ، وتلحقونا بأشراف العطاء ، ويعقد لنا الأمير الذي فوقك بذلك » ، فقال أبو موسى : « بل لكم مالنا ، وعليكم ما علينا ! » ، قالوا : « لا نرضى ! » . وكتب أبو موسى بذلك إلى عمر ، فكتب عمر إلى أبي موسى : « أعطهم ما سألوكم » ، فكتب أبو موسى لهم ، فأسلموا وشهدوا معه ومع المسلمين الآخرين حصار تُسْتَر ، فألحقهم أبو موسى على قدر البلاء في أفضل العطاء ، وأكثر شيء أخذته أحد من العرب ، ففرض لمائة منهم في ألفين ألفين ، وستة

(١) السوس : بلد بالأهواز ، وهي تعريب الشوش ، ومعناها : الحسن والنزه والطيب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٧١/٥) والمسالك والممالك (٦٤) .

(٢) انظر التفاصيل في الطبري (٨٣/٤ - ٨٩) وابن الأثير (٥٤٥/٢ - ٥٥٠) .

منهم في ألفين ، وخمسمائة لقسم منهم ، فقال الشاعر :
ولما رأى الفاروق حُسْنَ بلائهم
وكان بما يأتي من الأمر أبصراً
فَسَنَ لهم ألفين فَرَضاً وقد رأى

ثلاثمئتين فَرَضَ عَكَ وَحِمِيْرًا (١)

وهذا يدلّ على أنّ الذين يُسلمون من العجم ، ويقاثلون مع المسلمين
يمكن أن ينالوا أوفر العطاء ، وأن يحتلّوا أرفع المراكز .
وكان ذلك سنة سبع عشرة الهجرية .

ج - وفي سنة إحدى وعشرين الهجرية شهد أبو موسى معركة :
نَهاوَنَد (٢) الحاسمة تحت لواء النُعمان بن مُقرّن المَزَنِي ، فلما انتصر المسلمون
وفتحوا نَهاوَنَد ، بدأ أبو موسى مسيرته الظافرة الموقفة بالفتوح .

وكان المسلمون يسمّون فتح نَهاوَنَد : فتح الفتوح ، لأنه لم يكن للفرس
بعده اجتماع ، وملك المسلمون بلادهم .

وهذه المعركة الحاسمة التي حشد لها الفُرس خير جيوشهم وأبرز قادتهم،
قُوِبلت من المسلمين بحملة شديدة قادها النُعمان بن مُقرّن من الأمام ، فكان
في مقدّمة المهاجمين على الفُرس ، وانقضّت رايته انقضاض العقاب عليهم
فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يسمع السّامعون بوقعة كانت أشدّ منها ، فما كان
يُسمع إلّا وقع الحديد . وصبر لهم المسلمون صبراً عظيماً ، وانهزم الأعاجم،
وقُتل منهم ما بين الزوال والإعتام ما طبّق أرض المعركة دمّاً يُزلق النّاس
والدّواب .

(١) الطبري (٩٠/٤ - ٩١) .

(٢) نَهاوَنَد : مدينة عظيمة قبلة همدان . بينهما ثلاثة أيام ، انظر التفاصيل في معجم البلدان
(٣٢٩/٨) والمسالك والممالك (١١٨) وآثار البلاد وأخبار العباد (٤٧١) .

وزلق بالنعمان فرسه ، فصرع ، وقيل : بل رمي بسهم في خاصرته فقتله .
 وسجّاه أخوه نُعَيْمُ بثوب ، وأخذ الراية وناولها حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ (١) .
 وقتل من العجم ثمانون ألفاً بالمطاردة وثلاثون ألفاً بالمعركة ، وتكبّدوا
 خسائر فادحة بالأموال ، وانهارت معنوياتهم وارتفعت معنويات المسلمين ،
 وكان فتح نهاوند فتحاً مميّناً حقاً (٢) .

د - ولما انصرف أبو موسى من نهاوند ، مرّ بالديّْنُور (٣) ، فأقام عليها
 خمسة أيام ، فصالحه أهلها على الجزية .
 ومضى في طريقه ، فصالحه أهل سَيْرَوَانَ (٤) على مثل صلح الديّْنُور .
 وبعث السائب بن الأقرع الثّقْفِي (٥) ، إلى الصّيمرة (٦) مدينة مَهْرَجَانَ
 قَدْقَ (٧) ففتحها صلحاً . وقيل : إنّه وجّه السائب من الأهواز (٨) ، ففتح
 ولاية مَهْرَجَانَ قَدْقَ (٩) .

- (١) انظر سيرته المفصلة في : قادة فتح بلاد فارس (١٠٨ - ١١٧) .
 (٢) انظر التفاصيل في : الطبري (١١٤/٤ - ١٣٧) وابن الأثير (١٦ - ٥/٣) .
 (٣) الدينور : مدينة من أعمال الجبال ، قرب قرميسين ، بين همذان والدينور نيف وعشرون
 فرسخاً ، ومن الدينور إلى شهر زور أربع مراحل ، والدينور بمقدار ثلثي همذان ، انظر التفاصيل في
 معجم البلدان (١٨٨/٤) والمسالك والممالك (١١٧) .
 (٤) سيروان : بلد بالجبل وهي كورة أيضاً بالجبل ، هي كورة ما سَبْدَان ، انظر التفاصيل في معجم
 البلدان (١٦٩/٥) .
 (٥) السائب بن الأقرع الثّقْفِي : انظر سيرته المفصلة في : قادة فتح بلاد فارس (١١٨ - ١٢٢) .
 (٦) الصّيمرة : مدينة بمهرجان قَدْقَ ، وهي بلد بين ديار الجبل وديار الأهواز ، انظر التفاصيل في
 معجم البلدان (٤٠٦/٥) .
 (٧) مهرجان قَدْقَ : كورة حسنة واسعة ذات مدن وقرى قرب الصيمرة من نواحي الجبال عن يمين
 القاصد من حلوان العراق إلى همذان في تلك الجبال ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٠٩/٨) .
 (٨) الأهواز : منطقة واسعة مؤلفة من سبع كور بين البصرة وفارس ، لكلّ كورة منها اسم ،
 ويجمعهن اسم الأهواز ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٠/١) ، ويقال لها : خوزستان ،
 انظر : آثار البلاد وأخبار العباد (١٥٢) .
 (٩) ابن الأثير (١٦/٣) والبلاذري (٤٣٠ - ٤٣١) .

وأرجّح الرواية الأولى ، لأنّ ولاية مهرجان قَذَق في طريق عودته من نهاوند إلى البصرة .

وكان ذلك سنة إحدى وعشرين الهجرية .

هـ - وفي هذه السنة أيضاً ، أي سنة إحدى وعشرين الهجرية بعث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عبد الله بن عبد الله بن عتبّان الأنصاري (١) ، وكان شجاعاً من أشراف الصحابة ومن وجوه الأنصار ، وأمه بأبي موسى ، فساروا إلى نهاوند ، ثم سار منها عبد الله فيمن معه ومن تبعه من جند النعمان بن مقرّن المزنّي بنهاوند نحو أصبهان (٢) . وكانت مقدمة أهل فارس برستاق لأصبهان ، فهاجمها المسلمون وأجبروها على الهزيمة ، وفتحوا الرستاق الذي كانت فيه مقدمة قوّات الفرس ، فكان أول رستاق أخذ من أصبهان .

وسار المسلمون إلى أصبهان ، وحاصروها وقاتلوا المدافعين عنها ، فصالحهم قائدهم على أصبهان ، وأنّ على مَنْ أقام فيها الجزية ، وأن يُجرى مَنْ أخذت أرضه عنوة مجرى من يدفع الجزية ، ومن أبى وذهب كان للمسلمين أرضه .

وقدم أبو موسى على عبد الله بن عبد الله من ناحية الأهواز وقد صالح ، فدخل عبد الله وأبو موسى أصبهان فاتحين ، وكتبوا بذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٣) .

(١) انظر سيرته المفصلة في : قادة فتح العراق والجزيرة (٤٨٦ - ٤٩٢) .

(٢) أصبهان : أو أصفهان ، مدينة عظيمة كانت عاصمة من عواصم العراق العجمي يطلق عليها اسمها ، انظر معجم البلدان (٢٦٩/١) .

(٣) انظر التفاصيل في : الطبري (١٣٩/٤ - ١٤٣) وابن الأثير (١٨/٣ - ٢٠) .

وبعد فتح أصبهان ، فتح أبو موسى قُمَ (١) وقاشان (٢) قبل عودته إلى البصرة (٣) ، وفي سنة اثنتين وعشرين عاد أبو موسى إلى البصرة بأمر عمر ابن الخطاب (٤) ، ولكن عمر بن الخطاب أمره على الكوفة بطلب من أهلها بعد عَمَار بن ياسر (٥) ، فأقام على الكوفة سنة واحدة ، ثم عزله عمر وصرفه إلى البصرة (٦) من جديد في سنة اثنتين وعشرين الهجرية (٧) ، مما يدل على أنه بقي على الكوفة أقل من سنة كاملة ، وليس سنة كاملة كما ذكروا .

وفي سنة ثلاث وعشرين الهجرية ، فتح أبو موسى وعثمان بن أبي العاص الثقفي (٨) مدينة شيراز (٩) وأرجان (١٠) وفتحاً سِينِيز (١١) على الجزية والخراج (١٢) .

(١) قُمَ : مدينة تذكر مع قاشان ، وهي مدينة مستحدثة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٥٩/٧) وآثار البلاد وأخبار العباد (٤٤٢) .

(٢) قاشان : مدينة قرب أصبهان تذكر مع قُمَ ، بينها وبين قم اثنا عشر فرسخاً ، انظر معجم البلدان (١٣/٧) آثار البلاد وأخبار العباد (٤٣٢) .

(٣) ابن الأثير (٢٠/٣) والبلاذري (٤٣٦) .

(٤) ابن الأثير (٢٨/٣) .

(٥) عمار بن ياسر : انظر سيرته في : طبقات ابن سعد (٢٤٦/٣) وأسد الغابة (٤٣/٤) والإصابة (٢٧٣/٤) .

(٦) ابن الأثير (٣٢/٣) .

(٧) ابن الأثير (٣٨/٣) .

(٨) عثمان بن أبي العاص الثقفي : انظر سيرته المفصلة في : قادة فتح بلاد فارس (٢٦٢ - ٢٦٩) .

(٩) شيراز : مدينة في وسط بلاد فارس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٢٠/٥) .

(١٠) أرجان : مدينة كبيرة بينها وبين البحر مرحلة ، وبينها وبين شيراز ستون فرسخاً ، انظر معجم البلدان (١٧٩/١) .

(١١) سِينِيز : بلد على ساحل الخليج العربي أقرب إلى البصرة من سيراف ، انظر معجم البلدان (٢٠١/٥) .

(١٢) ابن الأثير (٤٠/٣) والبلاذري (٥٤٦ - ٥٤٧) .

وكان عثمان بن أبي العاص الثقفي قد فتح مدينة سابور (١) سنة ثلاث وعشرين الهجرية ، إلا أنها انتقضت وغدرت ، فاستعاد أبو موسى فتحها عنوة سنة ست وعشرين الهجرية ، وكان على مقدمته عثمان بن أبي العاص الثقفي (٢) .

لقد أبلى أبو موسى بلاءً حسناً في جهاده جندياً وقائداً ، وكانت غايته الجهاد ، ولا يعتبر المنصب إلا وسيلة لتحقيق غايته ، فلم يكن يكثر أن يجاهد جندياً أو قائداً ، ورئيساً أو مرؤوساً ، مادام يحقق غايته في الجهاد من موقعه قائداً أو مقوداً ، لذلك أثمر جهاده ثمرات يانعة في ساحة بلاد فارس بخاصة ، وحسبنا أن نذكر له ، أنه فاتح الأهواز والسُّوس وأصبهان والدينور وماسبذان وقم وقاشان ، واستعاد فتح سابور من جديد ، هذا بالإضافة إلى المعارك الكثيرة التي شهدتها بقيادة غيره ، مثل معركة فتح الفتوح في نهاوند ، وبالإضافة إلى المناطق الشاسعة الكثيرة التي وجّه إليها قاداته لفتحها أو وجّه إليها رجاله من أهل البصرة لفتحها . أو المعاونة على فتحها . لقد كان جهاد أبي موسى بحق عظيماً .

(١) سابور : كورة واسعة ، مدينتها سابور ، وهي كورة مشهورة بأرض فارس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٥) .

(٢) البلاذري (٥٤٧) .

الإنسان

١ - العالم :

أ - كان أبو موسى يُفْتِي بالمدينة ، وَيُقْتَدَى به ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك^(١) ، وقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة أبي موسى فقال : « لقد أوتي هذا من مزامير آل داود »^(٢) .

وقام أبو موسى ليلة يُصَلِّي ، فسمع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم صوته ، وكان حلو الصَّوت ، فَقُمْنَ يَسْتَمِعْنَ ، فلما أصبح قيل له : « إنَّ النساء كنَّ يَسْتَمِعْنَ » ، فقال : « لو علمت لحبرتكن تحبيراً ولشوقتكن تشويقاً »^(٣) .

ووصف أحد الصحابة صوت أبي موسى بالقرآن ، فقال : « لم أسمع صوتَ صَنْجٍ قط ، ولا بَرَبُطٍ^(٤) قط ، كان أحسن منه » ، يصف صوته بقراءة القرآن الجهرية في الصلاة^(٥) .

وبالطبع فإن استقطاب الآراء وإجماعها على الإعجاب بصوت أبي موسى بالقرآن ، لا لأنه جميل الصَّوت فحسب ، بل لإتقانه تجويد القرآن وحفظه والتأثير به في النفوس والعقول معاً . لذلك خلف النبي صلى الله عليه وسلم أبا موسى ومُعَاذ بن جَبَل في مكة بعد فتحها وانقضاء غزوتي حنين والطائف

(١) انظر اسماءهم في طبقات ابن سعد (٢/٣٣٤ - ٣٥٤) ، وانظر أصحاب الفتيا لابن حزم - ملحق بجوامع السيرة (٣٢٠) .

(٢) طبقات ابن سعد (٢/٣٤٤) ، انظر تفاصيل روايته في طبقات ابن سعد (٤/١٠٧ - ١٠٨) .

(٣) طبقات ابن سعد (٢/٣٤٥) و (١٠٤) .

(٤) بربط : العود (من الآلات الموسيقية) ، ومعناه : صدر البط (ج) : برابط .

(٥) طبقات ابن سعد (٤/١٠٨) .

يُعَلِّمان النَّاسَ القرآنَ والفقهَ في الدين (١) ، وأرسلهما إلى جملة اليمن داعين إلى الإسلام ، فأسلم عامّة أهل اليمن : ملوكهم ، وسوقتهم (٢) .
وكان عمر بن الخطّاب إذا رأى أبا موسى قال : « ذكّرنا يا أبا موسى » ،
فيقرأ عنده (٣) القرآن ، وقال عمر لأبي موسى : « شوقنا إلى ربنا » ، فقرأ
القرآن ، فقالوا : الصلاة ! « فقال عمر : « أولسنا في صلاة ! » (٤) ، وقال
عمر لأبي موسى : « ذكّرنا ربّنا » ، فقرأ عليه أبو موسى ، وكان حسن
الصّوت بالقرآن (٥) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « بعثني الأشعريّ إلى عمر -
حين كان على البصرة ، فقال : كيف تركت الأشعريّ ؟ فقلت له : تركته
يعلم الناس القرآن . فقال : أما إنّه كيّس ، ولا تُسمِعها إياه » (٦) .

(١) مغازي الواقدي (٩٥٩/٣) .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (٣٠/١) .

(٣) طبقات ابن سعد (١٠٩/٤) .

(٤) طبقات ابن سعد (١٠٩/٤) .

(٥) طبقات ابن سعد (١٠٩/٤) .

(٦) طبقات ابن سعد (٣٤٥/٢) .

وقال الإمام الشَّعْبِيّ : « انتهى العلم إلى ستّة » ، وذكر أبا موسى فيهم .
وقال الحسن البصري : « ما أتاها - يريد البصرة - راكب خير منه » ، يعني
أبا موسى (١) .

وكان دقيقاً غاية الدقة في تحري العلم : في نقله بصدق ، وفي تعليمه
بأمانة ، وهو القائل : « مَنْ علّمه الله علماً ، فليعلمه ، ولا يقولن ما ليس
له به علم ، فيكون من المتكلفين ويمرق من الدين » (٢) .
وحين ولّاه عمر بن الخطّاب البصرة ، قال لأهل البصرة : « إن أمير
المؤمنين عمر بعثني إليكم أعلمكم كتاب ربكم عزّ وجلّ ، وسنة نبيكم صلى
الله عليه وسلم ، وأنظف لكم طرقكم (٣) » ، وكان أبو موسى هو الذي فقه
أهل البصرة وأقرأهم (٤) القرآن الكريم ، وسكن الكوفة وتفقه به أهلها (٥) .
وجمع أبو موسى القرآن في البصرة يوماً ، وقال : « لا تدخلوا عليّ إلا
مَنْ جمع القرآن » فدخل عليه زهاء ثلاثمائة ، فعظم القرآن وقال : « إن
هذا القرآن كائن لكم أجراً ، وكائن عليكم وزراً ، فاتبعوا القرآن ولا يتبعنكم
القرآن ، فإنه مَنْ اتبع القرآن هبط به على رياض الجنة ، ومَنْ تبعه القرآن
زُجّ في قفاه فقذفه في النار » (٦) .

(١) الإصابة (١٢٠/٤) .

(٢) طبقات ابن سعد (١٠٩/٤) .

(٣) حلية الأولياء (٢٥٧/١) .

(٤) الإصابة (١٢٠/٤) .

(٥) الإصابة (١٢٠/٤) .

(٦) صفوة الصفوة (٢٢٦/١) وانظر حلية الأولياء (٢٥٧/١) .

وكان أبو رجاء العطاردي يقول : « كان أبو موسى الأشعري يطوف علينا في هذا المسجد ، مسجد البصرة ، يقعد حلقاً ، فكأنني أنظر إليه بين بردين أبيضين يقرئني القرآن ، ومنه أخذت هذه السورة : ﴿ أَقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (١) ، فكانت أول سورة أنزلت على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

ووصفوا حديثه الحاسم الجازم في العلم ، فقالوا : « ما كنا نشبه كلام أبي موسى إلا بالجزار الذي لا يخطئ المفصل (٣) » .

وكان عبد الله بن مسعود (٤) يقرأ القرآن ، فجاء حذيفة بن اليمان فقال : « قراءة ابن أم عبد ، وقراءة أبي موسى الأشعري ، والله إن بقيت حتى آتي أمير المؤمنين - يعني عثمان - لأمرته بجعلها قراءة واحدة . وقال حذيفة : « يقول أهل الكوفة : قراءة عبد الله - يعني عبد الله بن مسعود - ويقول أهل البصرة : قراءة أبي موسى ، والله لئن قدمت على أمير المؤمنين لأمرته أن يغرقها (٥) ، يريد : أن يضع حداً للاختلاف في القراءات ، وذلك بجمع القرآن ، وفعل حذيفة ما وعد به ، وجمع عثمان القرآن (٦) .

(١) الآية الكريمة من سورة العلق (٩٦ : ١) .

(٢) حلية الأولياء (٢٥٦/١ - ٢٥٧) وانظر أنساب الأشراف (١١٠/١) .

(٣) طبقات ابن سعد (١١١/٤) .

(٤) عبد الله بن مسعود : انظر سيرته في طبقات ابن سعد (٢٤٢/٢) و (١٥٠/٣) وأسد الغابة

(٢٥٦/٣) والإصابة (١٢٩/٤) والاستيعاب (٩٨٧/٣) وأنساب الأشراف (٢٠٤/١) وتهذيب الأسماء واللغات (٢٨٨/١) .

(٥) كتاب المصاحف (١٣) .

(٦) كتاب المصاحف (١٤ - ١٦) والرياض النضرة (١٣٥/٢ - ١٣٦) .

لقد بلغ أبو موسى في القرآن وفي علومه مبلغاً جعله موضع ثقة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده في تولي واجب الداعية المختار والمعلم الأول في ركب تعليم القرآن وعلومه ، حتى أصبحت له مدرسة تُعرف باسمه في البصرة والكوفة بخاصة والمشرق الإسلامي كله بعامة .

ب - حفظ أبو موسى كثيراً من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد روى ابنه أبو بردة قال : « كان لأبي موسى تابع ، فقال لي : يوشك أبو موسى أن يذهب ولا يُحفظ حديثه فاكتب عنه . قلت : نعم ما رأيته ، فجعلت أكتب حديثه ، فحدث حديثاً فذهبتُ أكتبه كما كنت أكتب ، فارتاب بي ، وقال : لعلك تكتب حديثي ؟ قلت : نعم ؛ قال : فأتيني بكل شيء كتبتَه ! فأتيته به ، فمحاها ثم قال : احفظ كما حفظت^(١) » ، فقد كان ألمعي الذكاء ، يحفظ ما يسمعه بسرعة ويسر وإتقان .

ولأبي موسى ثلاثمائة وستون حديثاً^(٢) ، اتفق البخاري ومسلم على خمسين حديثاً وانفرد البخاري بأربعة أحاديث ، ومسلم بخمسة وعشرين حديثاً^(٣)

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن عبد الله بن عباس وأبي بن كعب وعمار بن ياسر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم . وروى عنه أولاده : إبراهيم وأبو بكر وأبو بردة وموسى ، وامراته أم عبد الله ، وأنس بن مالك وأبو سعيد الخدري وطارق بن شهاب . ومن كبار التابعين فمن بعدهم زيد بن وهب وأبو عبد الرحمن السلمي وعبيد بن عمير وقيس بن أبي حازم وأبو الأسود الدؤلي وسعيد بن المسيب

(١) طبقات ابن سعد (١١٢/٤) .

(٢) أسماء الصحابة الرواة لابن حزم - ملحق بجوامع السيرة (٧٦) وخلاصة تهذيب تهذيب الكمال (٣١٠) .

(٣) خلاصة تهذيب تهذيب الكمال (٣١٠) ، وفي تهذيب الأسماء واللغات (٢٦٩/٢) : أن البخاري انفرد بخمسة عشر ومسلم بخمسة عشر .

وزرّ بن حبيش وأبو عثمان النهدي وأبو رافع الصائغ وأبو عبدة بن عبد الله بن مسعود ومسروق بن أوس الحنظلي وغيرهم كثيرون (١) .
هكذا كان أبو موسى ، يسر الله له ، أن يصبح عالماً بالكتاب وعلومه ، محدثاً يروي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبرز أصحابه ، ويروي عنه الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان حتى لحق بالله ، فقضى أيامه معلماً ومتعلماً ، ومسترشداً ومرشداً ، ولم يبخل على أحد بعلمه ، وكان يعتبر العلم عبادة من أجل العبادات ، يسهر على تعلّمه كما يسهر على تعليمه ، لذلك تخرج في مدرسته طلاب كثيرون ، لا ينفكون يفخرون بعلمه ، الذي لم يرد به إلا وجه الله ، ولم يرد به سمعة ولا مالاً ، فبقى علمه ينتفع به الناس ويمكث في الأرض ، ومضى محبوب السمعة والمال وما حرصوا عليه من سمعة ومال ، فإذا بالعلم وحده هو الباقي ، وإذا بالسمعة والمال سراب .

٢ - القاضي

قضاة الأمة أربعة : عمر ، وعليّ ، وأبو موسى ، وزيد بن ثابت (٢) ، رضي الله عنهم ، ومن أقواله في القضاء : « لا ينبغي للقاضي أن يقضي حتى يتبين الليل من النهار » ، فبلغ قوله عمر بن الخطاب فقال : « صدق أبو موسى » (٣) .

وقال يوماً وهو يخطب في البصرة : « إن باهلة كانت كُراعاً فجعلناها ذراعاً » ، فقام رجل فقال : « ألا أنبئك بالأمّ منهم ؟ » ، قال : « من ؟ ! » ، قال : « عكّ والأشعريون » ، قال : « أولئك وأبيك أبائي ! يا سبّ أميره ، تعال » ، فضرب عليه فسطاطاً ، فراحت عليه قصعة ، وغدت عليه أخرى ،

(١) الإصابة (١٢٠/٤) وتهذيب التهذيب (٣٦٢/٥) .

(٢) الإصابة (١٢٠/٤) .

(٣) طبقات ابن سعد (٣٤٥/٢) و (١١٣/٤) .

فكان ذلك سجنه^(١). وكان آباؤه من الأشعريين، وكانت أمه من عك، وكان أميراً على البصرة، ولكنه لم يظلم الذي سبه علناً، فعامله بالحسنى لتأديبه لا للانتقام به، معاملة القاضي العادل لا الحاكم المستبد الغاشم. وهذا هو كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى، وهو الكتاب المشهور بكتاب سياسة القضاء وتدبير الحكم:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عمر أمير المؤمنين

إلى عبد الله بن قيس

(يعني أبا موسى الأشعري)

سلام عليك، أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له. أس بين الناس في مجلسك ووجهك، حتى لا يطمع شريف في حيفك^(٢)، ولا ييأس ضعيف من عدلك. البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصالح جائز بين الناس، إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً. ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمر، فراجعت فيه نفسك، وهديت لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق لا يبطله شيء، واعلم أن مراجعة الحق خير من التماس في الباطل. الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس فيه قرآن ولا سنة. واعرف الأشباه والأمثال، ثم قس الأمور بعد ذلك، ثم اعمد لأحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى. اجعل لمن ادعى حقاً غائباً أمداً ينتهي إليه، فإن أحضر بينة أخذ بحقه، وإلا استحلت عليه القضاء. والمسلمون عدول في الشهادة، إلا مجلوداً بحد، أو مجرباً عليه شهادة زور، أو ظنياً في ولاء أو قرابة. إن الله تولى منكم السرائر، ودرأ عنكم بالبينات. وإياك والقلق

(١) طبقات ابن سعد (٤/١١٣).

(٢) حاف عليه - حيفاً: جار وظلم، وفي التنزيل العزيز: { أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ } ولا يطمع شريف في حيفك: في جورك وظلمك.

والضجر والتأذي بالخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويحسن الذخر، فإنه من صلحت سريرته فيما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين للدنيا بغير ما يعلم الله منه شأنه الله، والسلام^(١).

وهذا الكتاب العمري يفيد كل قاضٍ وكل إداري في كل زمان ومكان وهو واضح لا يحتاج إلى شرح .
وهذا نص كتاب عمري آخر ، إلى أبي موسى ، يفيد كل قاضٍ ، وكل إداري أيضا :

« أما بعد : فإن للناس نفرة من سلطانهم ، فالله الله أن تدركني وإياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة ، أقم الحدود ولو ساعة من نهار .
وإذا عرض لك أمران ، أحدهما لله ، والآخر للدنيا ، فأثر نصيبك من الله ، فإن الدنيا تنفذ ، والآخرة تبقى .

وأخيفوا الفساق واجعلوهم يداً يداً ورجلاً رجلاً ، وعد مرضى المسلمين ، واشهد جنائزهم ، وافتح لهم بابك ، وباشر أمورك بنفسك ، فإنما أنت رجلٌ منهم ، غير أن الله جعلك أثقلهم عملاً .

وقد بلغني أنه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ، ليس للمسلمين مثلها ، فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة ، مرت بواد خصب ، فلم يكن لها هم إلا السمن ، وإنما حنفتها في السمن .
وأعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته ، وأشقى الناس من شقي الناس به ، والسلام^(٢) . »

(١) عيون الأخبار (٦٦/١) والبيان والتبيين (٦٩/١) والكامل للمبرد (٩) والأحكام السلطانية للماوردي (١٢١) ومقدمة ابن خلدون (١٨٤/١) والعقد الفريد (٢٣/١) وإعلام الموقعين لابن القيم ، والمبسوط للسرخسي (٦٠/١٦ - ٦٥) وفيه المتن وشرحه والسنن الكبرى للبيهقي (١٨٢/٧) وانظر تفاصيل المصادر والمراجع في : مجموعة الوثائق السياسية (٣١٦ - ٣١٩) الوثيقة الرقم (٣٢٧) وانظر : أخبار القضاة لوكيع (٢٨٣/١ - ٢٨٤) .

(٢) عيون الأخبار (١١/١) ، وانظر : مجموعة الوثائق السياسية (٣١٩ - ٣٢٠) ، الوثيقة الرقم (٣٢٨) .

وما ذكره عمر بن الخطاب في كتابه إلى أبي موسى حول ما طرأ عليه وعلى أهل بيته من بؤادر النعمة التي لم تكن لديهم من قبل ، يذكره عمر في كتبه لكل عماله بدون استثناء ، حتى لو علم أن تلك النعمة الطارئة لا وجود لها ، فقد كان أسلوب عمر أن يخوف من الانحراف قبل وقوعه ، خوفاً من وقوع العامل فيه فلا ينفع التخويف والتحذير ، فقد كان أبو موسى أسوة حسنة لأهله ومن حوله ومن يحكم باستقامته المطلقة وتقشفه وأمانته ، ومع ذلك فالتحذير العمري في كتابه لا يخلو من فائدة خاصة وعامة ، إذا لم تقتصر على أبي موسى ، فقد تشمل غيره ممن معه في السلطة والرعية .

لقد كان أبو موسى من قضاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد وجهه إلى اليمن أميراً وقاضياً كما وجه معاذ بن جبل أميراً وقاضياً^(١) ، وكان من واجب الأمير في حينه أن يقضي بين الناس أيضاً إضافة إلى واجباته الأخرى ، وقد روى الإمام أحمد بن حنبل أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن ، فقال : « بَشَرُوا وَلَا تَنْفَرُوا ، وَيَسِّرُوا وَلَا تَعْسِرُوا ، وتطاولوا ولا تختلفوا^(٢) » .

وقد بقي على القضاء في اليمن إلى عمر بن الخطاب^(٣) ، ثم نُقِلَ في منصب القضاء لعمر^(٤) بالمدينة . ولما تولى أبو موسى البصرة من قبل عمر بن الخطاب ، كان معه قاضٍ في البصرة ، فلما توي عثمان بن عفان أقرَّ أبا موسى على صلاة البصرة وأحداثها وعزل قاضيه عن القضاء وولى أبا موسى القضاء^(٥) أيضاً .

(١) أخبار القضاة (١/١٠٠) .

(٢) أخبار القضاة (١/١٠١) .

(٣) أخبار القضاة (١/١٠٢) .

(٤) المعارف (٥٩٠) .

(٥) أخبار القضاة (١/٢٨٣) .

لقد كان أبو موسى من قضاة المسلمين الأولين الذين أصبحت أقضيتهم أسوة حسنة لقضاة المسلمين والقضاء المثالي العادل ، وحسبه أن يعمل في القضاء على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه : أبي بكر وعمر وعثمان ، فلما تولى علي تولى في عهده أعظم مهمة قضائية في حينه ، هي مهمة : التحكيم ، وهي مهمة قضائية في جوهرها بلا مرأى .

٣- الحكم

بدأت معركة صفين^(١) بين قوات علي بن أبي طالب من جهة وقوات معاوية بن أبي سفيان من جهة ثانية في اليوم الأول من شهر صفر من سنة سبع وثلاثين الهجرية^(٢) ، واستمر القتال بين الطرفين عنيفاً تساقط خلاله القتلى والجرحى من الطرفين ، فقتل في الحرب بينهما سبعون ألفاً ، منهم من أصحاب علي خمسة وعشرون ألفاً ، ومن أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً ، وقتل مع علي خمسة وعشرون صحابياً بدرية ، وكان مدة المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام ، وكانت الوقائع تسعين وقعة^(٣) .

ولما رأى عمرو بن العاص أن أمر العراق قد اشتد ، وأن كفة أصحاب علي في القتال هي الراجحة ، قال لمعاوية : « هل لك في أمرٍ أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فرقة ؟ » ، قال : « نعم » ، قال : نرفع المصاحف ثم نقول لما فيها : هذا حكم بيننا وبينكم ، فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول : ينبغي لنا أن نقبل ، فتكون فرقة بينهم ، وإن قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنا إلى أجل^(٤) .» .

(١) صفين : موضع بقرب الرقة ، على شاطئ الفرات ، من الجانب الغربي ، بين الرقة وبالس . انظر معجم البلدان (٣٧٠/٥) .

(٢) الطبري (١٢/٥) وابن الأثير (٢٩٤/٣) .

(٣) معجم البلدان (٣٧٠/٥) والتنبيه والأشراف للمسعودي (٢٥٦) ومروج الذهب (٢٥٢/٢) .

(٤) انظر التفاصيل في الطبري (٤٨/٥ - ٦٣) وابن الأثير (٣١٦/٣ - ٣٢٦) .

وحين وافق أصحاب علي على التحكيم ، اختلفوا على الحكم الذي يمثلهم ، وكان أبو موسى مرشح الأكثرية ، فنزل علي على رأيهم واختار أبا موسى حكماً^(١) ، كما اختار معاوية عمرو بن العاص عن أهل الشام حكماً^(٢) .

وكان نص وثيقة التحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، قاضي علي على أهل الكوفة ومن معهم ، وقاضي معاوية مع أهل الشام ومن معهم ، إننا ننزل عند حكم الله وكتابه ، وأن لا يجمع بيننا غيره ، وأن كتاب الله بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحيا ما أحيا ونميت ما أمات ، فما وجد الحكماء في كتاب الله ، وهما أبو موسى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص ، عملاً به ، وما لم يجدها في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة . وأخذ الحكماء من علي ومعاوية ومن الجندين من العهود والمواثيق أنهما أمان على أنفسهما وأهليهما ، والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه . وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة لا يرداها في حرب ولا فرقة حتى يعصيا ، وأجل القضاء إلى رمضان ، وإن أحبّا أن يؤخرا ذلك أخراه ، وإن كان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام (٣) » .

ولما جاء وقت اجتماع الحكمين : أرسل علي مع أبي موسى أربعمائة رجل ، وأرسل معهم عبد الله بن عباس ليصلي بالناس ويولي أمورهم .

(١) الطبري (٥١/٥) وابن الأثير (٣١٩/٣) .

(٢) الطبري (٥٢/٥) وابن الأثير (٣١٨/٧) .

(٣) الطبري (٥٣/٥ - ٥٤) وابن الأثير (٣٢٠/٣) ، وانظر الأخبار الطوال للدينوري (١٩٦) -

وأرسل معاوية عمرو بن العاص في أربعمئة من أهل الشام ، حتى توافوا من دومة الجندل (١) بأذرح (٢) .

واجتمع الحكمان ، فقال عمرو لأبي موسى : « أأست تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياء عثمان ؟ » ، فقال : « بلى » ، فما يمنعك منه ، وبيته في قريش كما قد علمت ؟ فإن خفت أن يقول الناس : ليست له سابقة ، فقل : وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه ، الحسن السياسة والتدبير ، وهو أخو أم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكاتبه ، وقد صحبه » ، وعرض لأبي موسى بسلطان .

وقال أبو موسى : « يا عمرو ! أتق الله ! فأما ما ذكرت من شرف معاوية ، فإن هذا ليس على الشرف تولاه أهله ، ولو كان على الشرف لكان لآل أبرهة بن الصباح (٣) ، وإنما هو لابن الدين والفضل ، مع أني لو كنت معطيه أفضل قريش شرفاً أعطيته علي بن أبي طالب . وأما قولك : إن معاوية ولي دم عثمان فوله هذا الأمر ، فلم أكن لأوليّه وأدع المهاجرين الأولين . وأما تعريضك لي بالسلطان ، فوالله لو خرج لي معاوية من سلطانه كله لما وليته ، وما كنت لأرتشي في حكم الله ! ولكنك إن شئت أحيينا اسم عمر بن الخطاب رحمه الله » .

فقال له عمرو : فما يمنعك من ابني ، وأنت تعلم فضله وصلاحه ؟ » ، فقال : « إن ابنك رجل صدق ، ولكنك قد غمسته في هذه الفتنة » .

وجرت المناقشة على هذا المنوال ، مما لا مجال لذكره هنا ، وقد ذكرت ما ذكرت لأبرز اتجاه أبي موسى في حرصه على المصلحة العليا للمسلمين ، وخلّوه من كل اتجاه آخر .

(١) دومة الجندل : حصن وقرى بين الشام والمدينة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٠٦/٤ - ١٠٩) .

(٢) أذرح : اسم بلد بأطراف الشام من أعمال الشراة ثم من نواحي البلقاء ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦١/١ - ١٦٢) .

(٣) انظر نسبه في جمهرة أنساب العرب (٤٣٥) ، وهو من حمير بن سبأ .

وكان عمرو « قد عودّ أبا موسى أن يقدمه في الكلام، يقول له: « أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأسْن مني، فتكلّم »، وتعود ذلك أبو موسى، وأراد عمرو بذلك كله أن يقدمه في خلع عليّ.

ولما أراد عمرو على ابنه وعلى معاوية، فأبى، وأراد أبو موسى ابن عمر، فأبى عمرو، قال له عمرو: « خبّرني ما رأيك؟ »، قال: « أرى أن نخلع هذين الرجلين، ونجعل الأمر شورى، فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا »، فقال عمرو: « الرأي ما رأيت ».

وأقبلوا إلى الناس وهم مجتمعون، فقال عمرو: « يا أبا موسى! أعلمهم أن رأينا قد اتفق ».

وتكلّم أبو موسى فقال: « إن رأينا قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به أمر هذه الأمة »، فقال عمرو: « صدق وبرّ، تقدّم يا أبا موسى فتكلّم ».

وتقدم أبو موسى، فقال: « أيّها الناس! إنّا قد نظرنا في أمر هذه الأمة، فلم نر أصلح لأمرها ولا أَلَمّ لشعثها من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه، وهو أن نخلع عليا ومعاوية ويولي الناس أمرهم من أحبوا، وإنّي قد خلعتُ عليا ومعاوية، فاستقبلوا أمركم وولّوا عليكم من رأيتموه أهلاً »، ثم تنحّى.

وأقبل عمرو، فقام وقال: « إن هذا قد قال ما سمعتموه وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبتّ صاحبي معاوية، فإنّه وليّ ابن عفّان، والطالب بدمه، وأحقّ الناس بمقامه ».

والتمس أهل الشام أبا موسى، فهرب إلى مكّة، ثم انصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية، فسلموا عليه بالخلافة.

ورجع ابن عباس ومن معه من أهل العراق إلى عليّ في الكوفة^(١).

(١) انظر التفاصيل في الطبري (٥/٦٧ - ٧١) وابن الأثير (٣/٣٢٩ - ٣٣٤).

وقد غمز أبا موسى كثيرون ، ولكي ننصفه بالحكم له أو عليه ، لابد من معرفة ظروفه التي أحاطت به ، وموقفه منها .
لقد بقي أبو موسى والياً على البصرة حتى مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأقره عثمان عليها ثم صرفه (١) ثم عاد فولاه الكوفة نزولاً عند رغبة أهلها (٢) .

وعندما أثار الشغب على عثمان قسم من أهل الكوفة ، قام أبو موسى فيهم خطيباً فقال: « لا تنفروا في مثل هذا ، ولا تعودوا لمثله . الزموا جماعتكم والطاعة ، وإياكم والعجلة » ، فقال الذين شغبوا على عثمان : « فصل بنا » ، فقال: « لا ! إلا على السمع والطاعة لعثمان ابن عفان » ، فقالوا: « السمع والطاعة لعثمان » (٣) .

وهكذا ضرب أبو موسى مثلاً رائعاً رفيعاً في العمل للمصلحة العامة الإسلامية ونكران الذات ، إذ لم يفكر لحظة واحدة في الشغب على عثمان انتقاماً منه على عزله عن البصرة دون مسوغ لهذا العزل ، وبذل غاية جهده لعدم إشعال نيران الفتنة بين المسلمين . ولما علم بتجمع الحاقدين على عثمان من الأمصار في المدينة المنورة ، أرسل القعقاع بن عمرو التميمي (٤) على رأس جيش من أهل الكوفة لإنقاذ عثمان مما حاق به من أخطار (٥) . ولكن عثمان قُتل قبل أن يدركه جيش القعقاع أو تدركه جيوش الأمصار الأخرى (٦) ، فسبق السيف العذل (٧) .

(١) أسد الغابة (٢٤٦/٣) والإصابة (١٢٠/٤) والاستيعاب (٩٣٠/٣) ، وانظر ابن الأثير (٩٩/٣) .

(٢) الطبري (٣٣٦/٤) وابن الأثير (١٤٨/٣) .

(٣) الطبري (٣٣٢/٤) وابن الأثير (١٤٩/٣) .

(٤) انظر سيرته المفصلة في : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٣١ - ٣٥٥) .

(٥) الطبري (٣٥٢/٤) و (٣٨٥/٤) .

(٦) الطبري (٣٨٥/٤) .

(٧) مثل عربي يضرب لما قد فات ولا يستدرك .

وكان أبو موسى على الكوفة حين قُتل عثمان (١) ، فكتب إلى عليّ بن أبي طالب بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم له ، وبين الكاره منهم للذي كان والراضي ومن بين ذلك ، حتى كأنّ عليّ بن أبي طالب يشاهدهم (٢) . ومع ذلك ، كان من رأي أبي موسى القعود عن الفتنة الكبرى ، وقد سأل عليّ رجلاً قدم من الكوفة عن أبي موسى ، فقال الرجل : إن أردت الصلح فأبو موسى صاحبه ، وإن أردت القتال فليس بصاحبه (٣) . وسأل أهل الكوفة أبا موسى عن رأيه في الاقتتال ، فقالوا : « ما ترى في الخروج ؟ » فأجابهم : « القعود سبيل الآخرة ، والخروج سبيل الدنيا ، فاختاروا » (٤) .

وخطب بالكوفة ، فكان ممّا قاله : « هذه فتنة صماء ، النائم فيها خير من اليقظان واليقظان خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم والقائم خير من الراكب ، والراكب خير من الساعي ، فكونوا جرثومة من جراثيم العرب ، فأغمدوا السيوف ، وانصلوا الأسنة ، واقطعوا الأوتار ، وآووا المظلوم والمضطهد ، حتى يلتئم هذا الأمر ، وتنجلي هذه الفتنة » (٥) .

وأرسل عليّ بن أبي طالب ابنه الحسن وعمّار بن ياسر إلى أبي موسى ، فخرج أبو موسى ولقي الحسن فضمه إليه ، فقال الحسن لأبي موسى : « لم تثبّط عنا ؟ ! فوالله ما أردنا إلا الإصلاح ، ولا مثل أمير المؤمنين يُخاف على شيء » ، فقال أبو موسى : « صدقت بأبي أنت وأمي ، ولكنّ المستشار مؤتمن . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إنها ستكون فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من

(١) الطبري (٤٢٢/٤) وابن الأثير (١٨٦/٣) .

(٢) الطبري (٤٤٣/٤) وابن الأثير (٢٠٢/٣) .

(٣) الطبري (٤٨٠/٤) وابن الأثير (٢٢٥/٣) .

(٤) الطبري (٤٨١/٤) وابن الأثير (٢٢٧/٣) .

(٥) الطبري (٤٨٢/٤) وابن الأثير (٢٢٧/٣) .

(الراكب) . وقد جعلنا الله عز وجل إخوانا ، وحرّم علينا أموالنا ودماءنا ، وقال : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (١)

وقال عز وجل : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (٢) ، فعزل علي بن أبي طالب أبا موسى عن الكوفة (٢) ، وكان قد أقره قبل ذلك ، بينما عزل غيره من عمّال عثمان (٤) .

واعتزل أبو موسى الفتنة الكبرى ، ولكنه لم يفارق علياً ، ولم يغادر الكوفة إلى مكان آخر ، بل بقي مع عليّ وفي ظله وسلطته ، مقراً له بالخلافة ، ولكنه لا يقاتل مسلماً ولا يرضى بقتل مسلم ، فاعتزل الفتنة كما اعتزلها غيره من كبار الصحابة مثل سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ابن الخطاب وأسامة بن زيد حبّ رسول الله وابن حبّه ومحمّد بن مسلمة ، وهذا هو سرّ اعتزال أبي موسى : لا يقتل مسلماً ، ولا يرضى بقتل مسلم .

لقد كان أبو موسى ، يحرص أشدّ الحرص ، على إخماد نيران الفتنة بين المسلمين ، فدم المسلم على المسلم حرام ، وهو يريد أن تكون سيوف المسلمين على أعدائهم لا عليهم ، وأن يكون المسلمون إخوة في الله ، يحبّ الأخ لأخيه ما يحبّه لنفسه . ولست أشك في أنّه كان يعمل لآخرته أكثر ممّا كان يعمل لدنيائه ، وكان راغباً عن الفتنة كارهاً لقتال المسلمين ، وكانت حجّته الواضحة لتسوية موقفه الجازم الحازم الصلب الذي لا يتزعزع عنه قيد أنملة ، هو أنّه لا يمكن أن يقاتل قوماً يؤمنون بالله ورسوله ، وأن السبيل

(١) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٢٩) .

(٢) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٩٣) ، وانظر الطبري (٤/٤٨٢ - ٤٨٣) وابن الأثير (٣/٢٢٨) .

(٣) ابن الأثير (٣/٢٣١) وأسد الغابة (٣/٢٤٦) .

(٤) يعقوبي (٢/١٥٥) .

لوضع حدّ للاختلاف ، هو التفاوض بين الأطراف المختلفة وليس أن يقتل الأخ أخاه .

ولا مجال أبداً ، لزعم قسم من المؤرخين ، أن أبا موسى كان مغفلاً لا علم له بالسياسة ، لذلك غدر به عمرو بن العاص ، فقد كانت القضية مكشوفة للغاية وليست معقدة ، كما أنه كان يعرف عمرو بن العاص ويعرف دهاءه ، ولم يكن يجهل مكانه ومكانته ، ولكنّ أبا موسى كان يريد الله بكلّ أعماله ، وكان يرى أنّ إيقاف الاقتتال بين المسلمين ووضع حدّ لنزيف دماء المسلمين بأيديهم لا بأيدي أعدائهم ، أهم بكثير من مصير رجلين من المسلمين ، هما : علي ومعاوية . لقد كان يعتقد أنّ مصير الإسلام والمسلمين ، أهم بكثير من مصير شخصين ، وأنّ المصلحة العامة للإسلام والمسلمين ، أهم بكثير من المصلحة الشخصية ، ولو كان غير عمرو ابن العاص معه في التحكيم ، لما تبدّل موقفه ، فهذا هو موقفه الذي لم يفرضه عليه عمرو ولا غيره ، بل فرضه عليه إيمانه الراسخ بتعاليم الإسلام ، وحرصه الشديد على اتّباع تلك التعاليم نصّاً وروحاً ، حتى ولو لحق الضرر بمصالحه الشخصية ، فخرس منصبه ، وخرس مكانته ، وخرس حتى متاعه الذي نهبه الناس^(١) ، ولكنه ربح نفسه ، ولا يمكن أن تعتبر الخسارة المادية ، إلى جانب الخسارة المعنوية ، عند أصحاب المبادئ والمثل العليا ، شيئاً مذكوراً . إنّ دراسة حياة هذا الصّحابي الجليل بإمعان ، تؤكد أنّه لم يكن مغفلاً وتنفي عنه الغفلة نفيّاً قاطعاً ، وإلاّ لما ولاه الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان ، ولولا موقفه من الفتنة لما تخلّى عن الاستعانة بكفايته عليّاً أيضاً ، ولما اختاره أهل الكوفة لولاية مصرهم في عهد عثمان حين بدأت بوادر الفتنة ، ولكنه كان رجلاً ورعاً تقيّاً سمح النفس رضي الخلق ، لا يبيع دينه بدنياه ، ولا يفرط بمصلحة المسلمين من أجل مصلحته .

(١) الطبري (٤/٤٨٧) وابن الأثير (٣/٢٣١) .

لقد كان يطبق مبدأ : السمع والطاعة ، للخليفة القائم ، ولا يرضى بالفتنة ولا يشارك بها بقلبه ولا بلسانه ولا بسيفه ، ولا يسكت عن الذين يثيرونها عن حسن نية أو عن سوء نية ويقاومهم ولا يخشى في الحق لومة لائم ، فإذا استنفد كل طاقاته في إطفاء نيران الفتنة دون جدوى ، اعتزل الفتنة وأصحابها حتى ولو خلف وراءه كل ما يملك من منصب ومال ومتاع ، فأصبح فجأة رجلاً بلا غد ، فذلك أهون عليه من أن يقتل مسلماً أو يقاتل مسلماً مهما تكن الأسباب الداعية لهذا الاقتتال .

وقد اجتهد أبو موسى لنفسه ولمن حوله ، فصنع بالرأي الذي استقرّ عليه اجتهداه ولم يخفّه عن أحد مسؤولاً أو غير مسؤول ، وللمجتهد إذا أصاب أجران ، فإذا أخطأ فله أجر واحد ، فهو مأجور على كل حال .

وما كان أبو موسى يشك لحظة واحدة في أفضلية علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولا بأحقيقته بالخلافة ، ولكن كان في نفسه شيء من قضية الاقتتال بين المسلمين .

ولا يمكن لمسلم أن يشك في إخلاص علي للإسلام والمسلمين ولا أن يشكك به ، ولكنه كان مجتهداً ، فساقه اجتهداه إلى ما ساقه إليه ، وللمجتهد أجره في كل حال .

لقد كان أبو موسى على درجة عالية من الذكاء والفطنة ، فما غلبه على أمره عمرو بن العاص ، ولكنه انصاع لاجتهداه ، فكان ما كان .

الإداري

أ - كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن كتاباً يخبرهم فيه بشرائع الإسلام وفرائض الصدقة والمواشي والأموال ، ويوصيهم بأصحابه

ورسله خيراً ، وكان رسوله إليهم مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَمَالِكُ بْنُ مَرَارَةَ الرَّهَآوِيُّ (١) .
وقد حمل مُعَاذُ وَمَالِكُ هَذَا الْكِتَابَ النَّبَوِيَّ إِلَى الْيَمَنِ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ أَوْ
شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ الْهَجْرِيَّةِ .

وبعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا موسى مع مُعَاذٍ أَمِيرًا وَقَاضِيًا (٢) ،
وَقَالَ لَهُمَا : « بَشِّرُوا وَلَا تُنْفَرُوا ، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعْسِرُوا ، وَتَطَاوَعَا وَلَا
تَخْتَلَفَا » (٣) . وفي السَّنةِ الْعَاشِرَةِ الْهَجْرِيَّةِ ، أَسْلَمَ بَاذَانُ الَّذِي كَانَ عَامِلَ
كُسْرَى عَلَى الْيَمَنِ ، وَبَعَثَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْلَامِهِ (٤) ،

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جمع لبازان الفارسي حين
أسلم وأسلمت اليمن ، عمل اليمن كلها ، وأمره على جميع مخاليفها ، فلم
يزل عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن أيام حياته ، ولم
يعزله عنها ولا عن شيء منها ، ولا أشرك معه شريكاً حتى مات باذان ،
فلما مات فرّق عمل اليمن بين جماعة من أصحابه ، وكان ذلك بعد حجة
الوداع سنة عشر الهجرة ، فكان من عماله عليه الصلاة والسلام أبو موسى
الأشعري (٥) ، وبهذا أصبح أبو موسى عاملاً من عمال النبي صلى الله عليه
وسلم (٦) ، بالإضافة إلى واجباته الأخرى ، فوَلَّاهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ :

(١) انظر نص الكتاب في : الطبري (١٢١/٣ - ١٢٢) وسيرة ابن هشام (٢٥٩/٤ - ٢٦٠) واليعقوبي (٨٧/٢ - ٨٩) ، وانظر الإصابة (٢٩٣/٤) وأسد الغابة (٢٠٣/٢) والقسطلاني (٢٧٩/١) ، وقد أخرجه أبو داود وابن حبان والدارمي ، وانظر النص الكامل في : كنز العمال (٤٩٤/٢ - ٤٩٦) على مسند الإمام أحمد بن حنبل (٤٩٤/٢) .

(٢) أخبار القضاة (١٠٠/١) .

(٣) أخبار القضاة (١٠١/١) .

(٤) الطبري (١٥٨/٣) .

(٥) الطبري (٢٢٧/٣ - ٢٢٨) .

(٦) أنساب الأشراف (٥٢٩/١) وجوامع السيرة (٢٣) .

زَبِيد (١) وعدن (٢) ورمع (٣) والسَّاحِل (٤) .
ولم يُعزَل عن عمله في اليمن ، كما لم يُعزل غيره من عمالها في حياة
النبي صلى الله عليه وسلم (٥) .
وبقي أبو موسى على زَبِيد وعدن ورمع والسَّاحِل طيلة أيام أبي بكر
الصديق رضي الله عنه (٦) .

وآثر أبو موسى بعد وفاة أبي بكر الصديق أن يصبح غازياً على أن يبقى
والياً ، ولكن لا ندري بالضبط متى ترك ولايته في اليمن ، وأوّل ما ورد اسمه
في الولاية ، هو توليته البصرة بعد عزل المغيرة بن شعبه عنها ، وكان ذلك
سنة سبع عشرة الهجرية . فقد بعث عمر بن الخطاب إلى أبي موسى ، فقال :
« يا أبا موسى ! إني مستعملك ، إني أبعثك إلى أرضٍ قد باضَ بها الشيطان
وفرَّخَ ، فالزم ما تعرف ، ولا تستبدل فيستبدل الله بك » ، فقال : « يا
أمير المؤمنين ! أعني بعدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من
المهاجرين والأنصار ، فإني وجدتهم في هذه الأمة وهذه الأعمال كالملاح لا
يصلح الطعام إلّا به » ، فقال له : « خُذْ مَنْ أَحْبَبْتَ » ، فاستعان بتسعة
وعشرين رجلاً ، منهم أنس بن مالك وعمران بن حصين وهشام بن عامر .

(١) زبيد : اسم وادٍ به مدينة يقال لها : الحَصِيب ، ثم غلب عليها اسم الوادي ، فلا تُعرف إلّا به ،
انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٣٧٥ - ٣٧٦) ، وهي مدينة يمانية على وادٍ مشهور في اليمن .
(٢) عدن : مدينة مشهورة على ساحل بحر العرب من ناحية اليمن ، انظر التفاصيل في معجم
البلدان (٦/١٢٦ - ١٢٨) .

(٣) رمع : قرية أبي موسى ببلاد الأشعريين قرب غَسَّان وزبيد ، انظر التفاصيل في معجم البلدان
(٤/٢٨٥) .

(٥) الساحل : موضع من بلاد العرب بعينه ، يطلق على ساحل مضيق باب المندب ، انظر التفاصيل
في معجم البلدان (٤/٣٧٦) و (٥/٧) ، وانظر عن تولية أبي موسى في : الإصابة (٤/١١٩)
وجوامع السيرة (٢٣) والطبري (٣/٢٢٨) وابن الأثير (٢/٣٣٦) وتاريخ خليفة بن خياط
(١/٦٢) وأنساب الأشراف (١/٥٢٩) .

(٥) الطبري (٣/٢٢٩) .

(٦) الطبري (٣/٤٣٧) وابن الأثير (٢/٤٢١) .

وخرج أبو موسى ، حتى أناخ بالمرْبِد^(١) ، فبلغ المغيرة أن أبا موسى قد أناخ بالمرْبِد فقال : « والله ما جاء أبو موسى زائراً ، ولا تاجراً ، ولكنه جاء أميراً » . وجاء أبو موسى إلى المغيرة بن شُعْبة ودفع إليه كتاباً من عمر ، وإنه لأَوْجَزُ كتاب كتَب به أحد من الناس : أربع كلم ، عزل فيها ، وعاتب ، واستحث ، وأمر ، وهذا نص الكتاب : « أما بعد ، فإنه بلغني نبأ عظيم ، فبعثت أبا موسى أميراً ، فسَلِّم إليه ما في يدك ، والعَجَل » .

وكتب عمر مع أبي موسى كتاباً هذا نصّه ، موجّه إلى أهل البصرة : « أما بعد فإنني قد بعثت أبا موسى أميراً عليكم ، ليأخذ لضعيفكم من قوِيّكم ، وليقاتل بكم عدوكم ، وليدفع عن ذمتكم ، وليحصي لكم فيئكم ثمّ ليقسمه بينكم ، ولينقي لكم طرقكم » ^(٢) .

وفي أيام أبي موسى على البصرة ، خرج رجل من أهل البصرة ، يقال له : أبو عبد الله ، وهو نافع أبو عبد الله بن كَلْدَةَ الثَّقَفِيّ ، إلى المدينة المنورة ، فقال لعمر بن الخطاب : « إنَّ قَبْلَنَا أرضاً بالبصرة ليست من أرض الخِراج ، ولا تضرّ بأحد من المسلمين ، فإن رأيت أن تُقَطَّعَنيها ، أتخذ فيها قَضَباً ^(٣) لخليّ ، فافعل » ، وكان أبو عبد الله أول من اقتلى الفلا ^(٤) ، فكتب عمر إلى أبي موسى : « إن كان كما يقول ، فاقطعها له » . وفي رواية أن كتاب عمر كان : « إنَّ أبا عبد الله سألني أرضاً على شاطئ دجلة ، فإن لم تكن أرض جزية ولا أرضاً يُجرى إليها ماء جزية ، فأعطاها إياه » ^(٥) .

(١) المرید : موضع سوق الإبل بالبصرة ، ثم أصبح سوقاً وشارعاً ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١١/٨ - ١٣) .

(٢) الطبري (٧٠/٤ - ٧١م وابن الأثير (٥٤٠/٢ - ٥٤١) ، وانظر طبقات ابن سعد (١٠٩/٤) والإصابة (١١٩/٤) .

(٣) القضب : شجر ترعاه الإبل والخيّل .

(٤) اقتلى المكان : رعاه . والفلا : جمع قَلَاة ، وهي الأرض الواسعة المقفرة .

(٥) انظر المصادر في : مجموعة الوثائق السياسية (٢٣٠) وانظر فتوح البلدان (٤٨٩ - ٤٩٠) وكتاب عمر في صفر من سنة سبع عشرة الهجرية .

وكان أبو موسى قد فتح أصْبَهَانَ سنة إحدى وعشرين الهجرية برفقة عبد الله بن عبد الله بن عتبَّان ، فعقدا مع أهلها هذه المعاهدة :

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب من عبد الله للفاذ وسفان وأهل أصْبَهَانَ وحواليها :

إنكم آمنون ما أدَيْتُم الجزية بقدر طاقتكم في كلِّ سنة، تؤدونها إلى الذي يلي بلادكم عن كلِّ حالم ، ودلالة المسلم ، وإصلاح طريقه ، وقراه يوماً وليلةً ، وحملان الراجل إلى مرحلة ، لا تسلطوا على مسلم . وللمسلمين نُصحكم وأداء ما عليكم ، ولكم الأمان ما فعلتم ، فإذا غيّرتم شيئاً أو غيره مُغيّر منكم ولم تُسلّموه ، فلا أمان لكم ، ومن سب مسلماً بلغ منه ، فإن ضربه قتلناه وكتب عبد الله بن قيس وشهد ، وعبد الله ابن ورقاء ، وعصمة ابن عبد الله (١) .

وفي سنة اثنتين وعشرين الهجرية أمره عمر بن الخطاب على الكوفة بطلب من أهلها بعد عمّار بن ياسر ، فأقام على الكوفة عاماً أو بعض عام ، ثم عزله وصرفه إلى البصرة (٢) من جديد ، في سنة اثنتين وعشرين الهجرية (٣) ، مما يدلّ على بقاءه في الكوفة أقلّ من عام .

وبقي أبو موسى على البصرة إلى وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ثلاث وعشرين الهجرية (٤) ، وقد كتب عمر في وصيته لمن يتولّى الخلافة من بعده : « لا يُقرّ لي عامل أكثر من سنة ، وأقرّوا الأشعري أربع سنين (٥) » ، وهذا دليل على أن عمر كان يثق به ثقة مطلقة ، وأن ثقته به أعظم من ثقته بعماله الآخرين .

(١) الطبري (١٤١/٤) .

(٢) ابن الأثير (٢٢/٣) .

(٣) ابن الأثير (٢٨/٣) .

(٤) الطبري (١٩٠/٤) وابن الأثير (٤٩/٣) والعبّار (٢٧/١) ، وانظر الطبري (٢٤١/٤) وابن

الأثير (٧٧/٣) .

(٥) الإصابة (١٢٠/٤) .

وفي سنة تسع وعشرين الهجرية ، عزل عثمان بن عفّان رضي الله عنه أبا موسى عن البصرة بعبد الله بن عامر بن كرّيز القرشيّ العبشميّ^(١) وقيل كان ذلك لثلاث سنين مضت من خلافة عثمان ، وأرجّح الرواية الأولى ، فقد عمل على البصرة ست سنين^(٢) ، وما كان عثمان ليعزله بعد ثلاث سنين خلافاً لوصية عمر .

فلما خرج من البصرة حين نُزع عنها ، لم يكن معه إلاّ ستمائة درهم عطاء عياله^(٣) ، ولكن كان معه ما هو أثمن من كلّ مادة في الدنيا ، هي قوله الحسن البصري فيه : « ما أتاها - يعني البصرة - راكب خير لأهلها منه^(٤) » ، فقد ذهبت المادة ، وبقي هذا الشئ المستطاب .

ولما عُزل عن البصرة سار منها إلى الكوفة ، فلم يزل بها حتى أخرج أهل الكوفة سعيد بن العاص ، وطلبوا من عثمان أن يستعمله عليهم ، فاستعمله^(٥) ، وكان قد سكن الكوفة بعد خروجه من البصرة ، فتفقّه أهل الكوفة به^(٦) ، وقد استعمله عثمان على الكوفة بعد سعيد بن العاص ، نزولاً عند رغبة أهل الكوفة ، وكتب إليهم :

(١) انظر سيرته في : المعارف (٣٢٠ - ٣٢٢) .

(٢) الطبري (٢٦٤/٤) وابن الأثير (٩٩/٣) والعبر (٣٠/١) ، وفيه عزل عثمان أبا موسى عن

البصرة سنة تسع وعشرين الهجرية .

(٣) طبقات ابن سعد (١١١/٤) .

(٤) الإصابة (١٢٠/٤) .

(٥) أسد الغابة (٢٤٧/٣) و (٣٠٩/٥) والإصابة (١٢٠/٤) .

(٦) الإصابة (١٢٠/٤) .

«بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ، فقد أمرت عليكم من اخترتم ، وأعفيتكم من سعيد ، والله لأفرشنكم^(١) عرضي ، ولأبذلن لكم صبري ، ولأستصلحنكم بجهدي ، فلا تدعوا شيئاً أحببتموه لا يعصى الله فيه إلّا سألتموه ، ولا شيئاً كرهتموه لا يعصى الله فيه إلّا استعفيتم منه ، أنزل فيه عندما أحببتم ، حتى لا يكون لكم عليّ حجة^(٢) ، وكان ذلك سنة أربع وثلاثين الهجرية^(٣) ومعنى ذلك أن أبا موسى ، بقي بلا عمل للخليفة عثمان نحو أربع سنوات ، قضاهما في تعليم القرآن وتحفيظه وفي تفقيه أهل الكوفة .

وكان أبو موسى ، حين أعاد أهل الكوفة سعيد بن العاص من الطريق قبل دخول الكوفة إلى عثمان ، قد جمع أهل الكوفة الحانقين على سعيد وغير الحانقين عليه ، وخطبهم ، وأمرهم بالجماعة وبلزوم الجماعة وبطاعة عثمان ، فأجابوا إلى ذلك ، وقالوا : « صلّ بنا » ، فقال : « لا ! إلّا على السّمع والطاعة لعثمان » ، قالوا : « نعم » ، فصلّى بهم ، وأتاه ولايتهم من عثمان ، فوليهم^(٤) .

ولم يزل أبو موسى على الكوفة ، حتى استخلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين الهجرية^(٥) ، فأقرّه علي بن أبي طالب عليها . فلما سار علي إلى البصرة ليمنع طلحة والزبير عنها ، أرسل إلى أهل الكوفة يدعوهم لينصروه ، فمنعهم أبو موسى وأمرهم بالقيود في الفتنة ، فعزله علي

(١) في ابن الأثير والنويري : « لأفرشنكم » .

(٢) الطبري (٢٣٦/٤) وابن الأثير (١٤٨/٣ - ١٤٩) .

(٣) الطبري (٢٣٦/٤) وابن الأثير (١٤٨/٣) .

(٤) ابن الأثير (١٤٩/٣) .

(٥) الطبري (٤٢٧/٤) وابن الأثير (١٩٠/٣) .

عنها (١)، وكان قد أقرّه عليها قبل ذلك ، بينما عزل غيره من عمّال عثمان (٢) .

ب - فما هي إنجازات أبي موسى ، كما يعبر عن ذلك المحدثون ؟ كتب أبو موسى إلى عمر : « إنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ » ، فجمع عمر الناس للمشورة ، فقال بعضهم : « أرخ لمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال بعضهم : « لمهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، فقال عمر : « نؤرخ لمهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن مهاجرته فرق بين الحق والباطل (٣) » .

لقد كان لأبي موسى فضل المطالبة بوضع التاريخ للمسلمين ، فكان التاريخ الهجري الذي بدأ العمل به على عهد عمر بن الخطّاب ، ولا يزال معمولاً به حتى اليوم .

وكان عمر بن الخطّاب أول من سُمّي بأمير المؤمنين ، وكان أبو موسى أول من دعا له بهذا الاسم على المنبر ، وأول من كتب إليه : لعبد الله عمر أمير المؤمنين ، من أبي موسى الأشعري ، فلما قرئ ذلك على عمر قال : « إني لعبد الله ، وإني لعمر ، وإني لأمر المؤمنين ، والحمد لله رب العالمين (٤) » . وأصبحت السنة التي سنّها أبو موسى متبعة في الدّعاء وفي الأسلوب الكتابي أيضاً .

وفي سنة ثمانى عشرة الهجرية ، أصاب الناس مجاعة شديدة وجذب وقحط ، وهو عام الرّمادة ، وكانت الرّيح تُسفي تراباً كالرّماد ، فسمي : عام الرّمادة ، واشتد الجوع حتى جعلت الوحش تأوي إلى الإنس ، وحتى جعل الرّجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها ، وإنّه لمقفر (٥) .

(١) ابن الأثير (٢٣١/٣) وأسد الغابة (٢٤٦/٣) و (٣٠٩/٥) ، انظر مروج الذهب (٣٥٩/٢) .

(٢) اليعقوبي (١٥٥/٢) .

(٣) ابن الأثير (١٠/١) .

(٤) مروج الذهب للمسعودي (٣٠٥/٢) - ط ٢ - بيروت - ١٣٩٣ هـ .

(٥) الطبري (٩٨/٤) وابن الأثير (٥٥٥/٢) .

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى وهو على البصرة : « إن العرب هلكت ، فابعث إليّ بطعام » فبعث إليه بطعام ، وكتب إليه : « إني قد بعثت إليك بكذا وكذا من الطعام ، فإن رأيت يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الأمصار ، فيجتمعون في يوم ، فيخرجون فيه ، فيستسقون » ، فكتب عمر إلى أهل الأمصار ، فخرج أبو موسى فاستسقى ولم يُصَلِّ (١) . وهذا دليل على أن الزراعة والإنتاج الزراعي كان بازدهار بحيث يغطي حاجة المنطقة ويفيض على ما تحتاج إليه ، فتصدر إلى المناطق الأخرى .

ولا عجب في ازدهار الزراعة والمحاصيل الزراعية في ولاية البصرة على عهد أبي موسى ، فقد كان يهتم بالري الذي هو العمود الفقري للزراعة ، وبخاصة في الأرض السيحية التي تُسقى بمياه النهر ولا تزدهر بدونه ، فقد قاد أبو موسى نهر الأبلّة (٢) من موضع الإجانة (٣) إلى البصرة وكان شرب الناس قبل ذلك من مكان يقال له : دير قاووس (٤) ، فُوّهته في دجلة فوق الأبلّة بأربعة فراسخ ، يجري في سباح لا عمارة على حافته ، وكانت الأرواح (٥) تدفنه (٦) .

ولم يقتصر نشاط أبي موسى في الري على حفر نهر الأبلّة ، بل امتدّ إلى حفر نهريّن آخرين سجّلهما له البلدانون العرب ، ولا ندري عدد الأنهار التي حفرها ولم يُسجّلها البلدانون له .

(١) طبقات ابن سعد (٤/ ١١٠)

(٢) الأبلّة : بلدة على شاطئ نهر البصرة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى البصرة ، وهي مدينة قديمة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨٩/١) . ونهر الأبلّة : نهر باسم المدينة ، يتصل بالبصرة ، انظر معجم البلدان (٩٠/١) .

(٣) الأجانة : إناء تغسل فيه الثياب ، سمي به نهر الأجانة ، لأن الناس كانوا يغسلون فيه ثيابهم ، انظر معجم البلدان (٣٣/٨) .

(٤) لم أجد له ذكراً في المصادر التي تتحدث على الأديرة .

(٥) الأرواح : جمع ريح ، وهو الهواء إذا تحرّك .

(٦) البلاذري (٤٩٨) .

فقد قدم الأحنف بن قيس التميمي (١) على عمر بن الخطاب في أهل البصرة، فجعل عمر يسألهم رجلاً رجلاً، والأحنف لا يتكلم، فقال له عمر: «ألك حاجة؟» فقال: «بلى يا أمير المؤمنين! إن مفاتيح الخير بيد الله، وإن إخواننا من أهل الأمصار نزلوا منازل الأمم الخالية بين المياه العذبة والجنان الملتفة، وإننا نزلنا أرضاً نشاشة (٢) لا يجفّ مرعاها، ناحيتها من قبل المشرق البحر الأجاج، ومن ناحية المغرب الفلاة والعجاج، فليس لنا زرع ولا ضرع، تأتينا منافعنا وميرثنا في مثل مري النعامة، يخرج الرجل الضعيف منا فيستعذب الماء. من فرسخين، والمرأة كذلك فتربق (٣) ولدها ربق العنز تخاف بادرة العدو وأكل السبع؛ فلا ترفع خسيستنا وتجبر فاقتنا، نكن كقوم هلكوا»، فألقى عمر ذراري أهل البصرة في العطاء، وكتب إلى أبي موسى يأمره أن يحفر لهم نهراً، فذكر جماعة من أهل العلم أن دجلة العوراء، وهي دجلة البصرة، كانت خوراً (٤)، والخور طريق للماء لم يحفره أحد، تجري إليه الأمطار ويتراجع ماؤها فيه عند المد وينضب في الجزر، وكان يحده مما يلي البصرة خور واسع كان يسمى في الجاهلية: الإجانة، وتسميه العرب في الإسلام: خزاز، وهو على مقدار ثلاثة فراسخ من البصرة، ومنه يبتدئ النهر الذي يعرف اليوم بنهر الإجانة.

فلما أمر عمر أبا موسى بحفر نهر، ابتداء بحفر نهر الإجانة، فقأره (٥) ثلاثة فراسخ، حتى بلغ به البصرة (٦). وكان أهل البصرة قبل حفر هذا

(١) انظر سيرته في: قادة بلاد فارس (٢١٧ - ٢٤٦).

(٢) نشر الشيء: جفّ وذهب ماؤه. ونشاش هو، وهي نشاشة. ويقال: سبخة نشاشة: لا يجفّ ثراها ولا ينبت مرعاها.

(٣) ربقه: ربطه بالربق. والربق: جبل ذو عرى، والجبل، والخيظ.

(٤) الخور: مصب الماء في البحر، والمنخفض من الأرض بين مرتفعين، والخليج.

(٥) فأر فلان: حفر حفراً للفأر.

(٦) معجم البلدان (٨/ ٣٣٤).

النهر يستقون ماءهم من الأبلّة ، وكان يذهب رسولهم إذا قام المتجهّدون من الليل ، فيأتي بالماء من الغد صلاة العصر (١) .
وهكذا يسّر أبو موسى ماء الشرب لأهل البصرة من جهة ، ويسّر لهم ماء السقي من جهة أخرى .

أما النهر الثالث الذي حفره أبو موسى بالبصرة ، فهو نهر مَعْقِل ، نسبة إلى الصحابي الجليل مَعْقِل بن يسار بن عبد الله المُرَنيّ (٢) ، وهو نهر معروف بالبصرة ، فمه عند فم نهر الإجّانة الذي ذكرناه قبل قليل . فقد أمر عمر بن الخطّاب أبا موسى أن يحفر نهراً بالبصرة ، وأن يُجرّيه على يد مَعْقِل بن يسار المُرَنيّ ، فنُسب إليه . وفي رواية أخرى أن زياد بن أبي سفيان (٣) هو الذي حفره (٤) ، ولا تناقض بين الروايتين ، فأبو موسى حفره ، وزياد جدّد حفره ، لأن الأنهار في تلك المناطق تحتاج إلى إدامة حفرها باستمرار ، وإلا طُمّرت واندرست ، فخلط الذين كتبوا على هذا النهر بين الجاهدين : جهد أبي موسى ، وجهد زياد .

تلك ثلاثة أنهار للبصرة عُرفت لأبي موسى ، حفرها على عهد الفاروق عمر وحده ، وقد كان على البصرة في عهد عمر خمس سنوات امتدت من سنة سبع عشرة الهجرية إلى سنة ثلاث وعشرين الهجرية ، أمضى منها سنة على الكوفة بعيداً عن البصرة وقد بقي على البصرة ست سنوات في عهد عثمان بن عفان ، ولابدّ أنّه بذل نشاطاً باهراً في حفر أنهار جديدة وفي تطهير أنهار قديمة ، ولا عبرة بسكوت الذين سجّلوا نشاط أبي موسى في حفر الأنهار عن تسجيل ما حفره من أنهار ، فما كلّ شيء جرى سُجْل ،

(١) معجم البلدان (٣٣٥/٨) .

(٢) مَعْقِل بن يسار بن عبد الله المُرَنيّ : انظر سيرته في أسد الغابة (٣٩٨/٤) والإصابة (١٢٦/١) والاستيعاب (١٤٣٢/٣) المعارف (٢٩٧) .

(٣) زياد بن أبي سفيان : انظر سيرته في تهذيب ابن عساكر (٤٠٩/٥) .

(٤) معجم البلدان (٣٤٥/٨ - ٣٤٦) .

ولكن إذا افترضنا أن هذه الأنهار الثلاثة هي كل ما حفره أبو موسى في سني ولايته على عهد عمر ، وأنه لم يحفر أنهاراً إضافية بعد عمر لسبب أو لآخر ، فإن حفر ثلاثة أنهار ليس قليلاً ، وبخاصة إذا تذكرنا الوسائل البدائية المستعملة أيام أبي موسى بالحفر ، وأن القادرين على الحفر في شغل شاغل عن الحفر بالجهاد والفتوح .

وكان من ثمرات نشاط أبي موسى في حفر الأنهار ، أن البصرة أصبحت مصدرة للطعام إلى المسلمين المحتاجين إليه ، واكتفى المسلمون ذاتياً بما لديهم ، ولم يبتغوا محتاجين إلى استيراد الطعام من الأجانب ، فلا شيء بلا ثمن ، وثمرته الضغط السياسي كما هو معلوم ، كما كان يمارسه الأجانب على العرب في الجاهلية ، وبخاصة في سنوات القحط والجفاف .

ولم يكن أبو موسى متفرغاً للقضايا الإدارية في البصرة ، بل كان مسؤولاً مسؤولية مباشرة عن الجهاد والفتوح بما فيه حشد الرجال وقيادتهم ، فالأمير يومها إداري قائد .

فقد تولى البصرة سنة سبع عشرة الهجرية لعمر ، فحشد الرجال بأمر عمر لفتوح المشرق ، فشاركوا في فتح رامهرمز ، بقيادة أحد قادته المرؤوسين ، ثم شهد فتح تستر قائداً لمجاهدي البصرة ، فلما فتحت المدينة انصرف أبو موسى إلى البصرة .

وبقي سنة ثمان عشرة الهجرية وتسع عشرة الهجرية وعشرين الهجرية يحشد الرجال لفتوح أرض فارس في المشرق ، وفي سنة إحدى وعشرين شهد معركة نهاوند وهي معركة فتح الفتوح ، على أهل البصرة ، فلما فتح المسلمون نهاوند ، انصرف أبو موسى ففتح الدينور صلحاً وسيروان صلحاً أيضاً ، ووجه أحد رجاله ففتح الصيمنة مدينة مِهْرَجَان قَذَق صلحاً . كما شارك أبو موسى في هذه السنة ، أي سنة إحدى وعشرين الهجرية في فتح أَصْبَهَانَ ، كما فتح قُمْ وقاشان قبل عودته إلى البصرة .

ونقل أبو موسى إلى الكوفة سنة اثنتين وعشرين الهجرية ، فبقي فيها عاماً أو بعض عام ، ثم أعيد سنة اثنتين وعشرين الهجرية أيضاً إلى البصرة .

وفي سنة ثلاث وعشرين الهجرية ، شارك أبو موسى في فتح شيراز وأرجان وسينيز ، واستعاد فتح مدينة سابور سنة ست وعشرين الهجرية على عهد عثمان .

لقد فتح أبو موسى الأهواز والسّوس وأصبهان والدينور وماسبذان وسيروان وقم وقاشان ، وشارك في فتح تستر ونهاوند ، واستعاد فتح سابور . ويتضاعف إعجابنا بأبي موسى وتقديرنا لنشاطه في خدمة الإسلام والمسلمين ، إذا ذكرنا فتوحه الواسعة إلى جانب أعماله الإدارية ، فنحير بأيهما نكون أكثر إعجاباً : بأعماله العسكرية ، أم بأعماله الإدارية . وما يخطر على البال هو : كيف تيسر له الوقت الكافي للنهوض بكل هذه الأعمال الكبيرة ؟ !

لقد كان أبو موسى حصيماً في إدارته وقيادته ، ويتمتع بعقلية متزنة وفكر صائب ورأي سديد ، يدلنا على ذلك ما رواه عنه طارق بن شهاب البجلي قال : « أتينا أبا موسى ، وهو بداره بالكوفة لنتحدث عنده ، فلما جلسنا قال : لا عليكم أن تخفوا ، فقد أصيب في الدار إنسان بهذا السقم ، ولا عليكم أن تنزهوا عن هذه القرية ، فتخرجوا في فسيح بلادكم ونزهاها حتى يرفع هذا الوباء . سأخبركم بما يكره مما يتقى ، من ذلك أن يظن من خرج أنه لو أقام مات ، ويظن من أقام فأصابه ذلك لو أنه خرج لم يصبه فإذا لم يظن هذا المرء المسلم فلا عليه أن يخرج ، وأن يتنزه عنه (١) » ، فهو يفسح المجال للابتعاد عن المرض والأخذ بالوسائل . مع الثقة المطلقة بقضاء الله عز وجل وقدره .

ومما يدل على عقليته المتزنة الراجحة ، بقاؤه في البصرة والكوفة بدون مشاكل خطيرة مع أهل هذين البلدين ، وقد كان لهما مشاكل - وبخاصة الكوفة - مع من سبق أبا موسى في ولايتهما ومع من لحقه أيضاً كما هو معروف .

(١) الطبري (٦٠/٤) وابن الأثير (٥٥٨/٢) .

ولم تخل إمارته على البصرة والكوفة من مشاكل فحسب ، بل العكس هو الذي حدث ، فقد كان أهل البلدين يطالبون الخليفة بعودته إليهما كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

فقد سأل عمر أهل الكوفة : « من تريدون ؟ » ، قالوا : « أبا موسى » ، فأمره عليهم بعد عمار بن ياسر ، وكان ذلك في سنة اثنتين وعشرين الهجرية^(١) .

وقد اختاره أهل الكوفة والياً عليهم في عهد عثمان ، فنزل عثمان على إرادة أهل الكوفة ، وولّى على الكوفة أبا موسى^(٢) ، وكان ذلك سنة أربع وثلاثين الهجرية^(٣) ، ومن النادر أن يرضى أهل الكوفة عن أمير ! !

ولما بعث علي بن أبي طالب عمارة بن شهاب^(٤) وكانت له هجرة ، والياً على الكوفة خلفاً لأبي موسى ، علم وهو في طريقه إليها ، أن أهلها لا يريدون بأمرهم أبي موسى بديلاً ، فرجع عمارة إلى علي بن أبي طالب بالخبر^(٥) ، كما اختير من الناس ليمثل أهل العراق في التحكيم ، ولم يكن اختياره من علي كما ذكرنا ، كل ذلك يدل على مبلغ ثقة الناس بأبي موسى ومقدار شعبيته القوية ، فهو أمير وقائد شعبي بحق ، كما نعبر عن أمثاله اليوم ، إن كان له أمثال !

تلك هي مجمل إنجازات أبي موسى إدارياً : تعليم للقرآن والحديث النبوي والفقه ، وتحفيظ للقرآن الكريم حتى بلغ الحفاظ عشرات المئات ، فهو قائد مدرسة علمية فذة . وإصلاح زراعي ، وتعمير ، وإرواء ، وبناء : بنى أبو موسى مسجد البصرة ودار الإمارة ببلن وطين^(٦) ، وعدل ، واستقرار ، فهو

(١) الطبري (١٦٤/٤) وابن الأثير (٣٢/٣) .

(٢) الطبري (٣٣٦/٤) وابن الأثير (١٤٨/٣) وانظر أسد الغابة (٢٤٧/٣) و (٣٠٩/٥) والإصابة (١٢٠/٤) .

(٣) العبر (٣٤/١ - ٣٥) .

(٤) عمارة بن شهاب : انظر سيرته في الإصابة (٢٧٦/٦) .

(٥) الطبري (٤٤٢/٤ - ٤٤٣) وابن الأثير (٢٠٢/٣) .

(٦) البلاذري (٤٨٨) .

إداري حازم حصيف . وجهاد ، وفتوح عشر مناطق شاسعة ، إحداها الأهواز ، فهو قائد لامع قدير .
لا عجب أن يقول عمر عن أبي موسى : « إنه كَيْس (١) » ، ويقول عنه الحسن البصري : « ما أتاها راكب - يعني البصرة - خير لأهلها منه (٢) » .
ومضت القرون الطويلة ، والكلمات التي قيلت في أبي موسى باقية ، لأنها كلمات صادقة ، ولأن الذي قيلت فيه يستحقها .
إن في ذلك لعبرة ، فهل من مُعْتَبَر !!

الورع (١)

صنفان من الناس يصعب الكتابة عنهم : الذين لهم ثروة عظيمة من الأعمال العظيمة ، والذين لم يصنعوا شيئاً في حياتهم له قيمة مادية أو معنوية . والصعوبة في الصنف الأول الحيرة في انتقاء الأعمال التي يمكن أن توصف ، والصعوبة في الصنف الثاني الحيرة في إخفاء الخواء الذي لا يمكن أن يُعرف .

وأبو موسى من الصَّنَف الأول الذي تتسم كل حياته بالورع ، فما يدري الذي يكتب سيرته ما يأخذ وما يدع ، وقد حسبت أن أبسط فقرة من فقرات سيرته هي الحديث عن ورعه ، ولكنني احترت حين وصلت هذه الفقرة لتزاحم أعماله التي كانت نتيجة من نتائج ورعه ، فما أدري ما أغفل ولا أدري ما أسجل .

لقد كان أبو موسى بعد إسلامه وإقباله على تعلّم القرآن الكريم ، معلماً للقرآن الكريم وللفقه الإسلامي ، وظلّ معلماً وهو أمير ومجاهد وقائد ، لم

(١) طبقات ابن سعد (٧٤٥/٢) .

(٢) الإصابة (١٢٠/٤) .

(٣) وَرَعٌ يَرَعُ وَرَعًا وَرَعَةً : تَحَرَّجَ وَتَوَقَّى عن المحارم ، ثمَّ اسْتَعْبِرَ للكفِّ عن الحلال المباح ، فهو وَرَعٌ ، وهي وَرَعَةٌ . وَرَعٌ تَرَعُ وَيُورَعُ وَرَعًا وَرَعَةً : صار وَرَعًا . وَوَرَعٌ يُوْرَعُ وَرُوعًا وَوَرَاعَةً : ورع . تورع من الأمر ، وعنه : تخرج والورع : المتخرج من المحارم ، المتوقّي عن المحارم .

تُشغله واجبات الإمارة والجهاد والقيادة عن واجبه الأصلي وهو التَّعليم ، فكان معلماً في بيته ، معلماً في ديوانه ، معلماً مع رفاقه في السلاح ، معلماً في قيادته . وكما كان يُعلم القرآن الكريم والسُّنة النبوية المطهرة والفقه الإسلامي ، كان يعلم الورع في بيته وفي ديوانه ، ومع المجاهدين ، وفي مقر قيادته .

والورع لا يمكن أن يُعلّم بالأفكار النظرية ، بل يُعلّم بالسلوك العلمي ، فهو مما لا يمكن تعليمه بالكتب ، بل بالقُدوة الحسنة ، فتنتقل سمات الورع من نفس إلى نفس بالعدوى التي تنبعث عن القدوة الحسنة ، كما ينتقل العلم من عقل إلى عقل بالتلقي الذي يصدر عن الكتب ، فكان أبو موسى معلّم كتاب يصقل العقول بالعلم ، ومعلّم تقوى يصقل النفوس بالورع .

ومضى أبو موسى إلى ربّه ، وبقي منه ورعه المسجل في الكتب ، ولا تفيد كُتُب الورع كما يفيد شيوخ الورع ، لأنّ الكتب تخاطب العقول ، والشيوخ يناغون القلوب ، وليس من رأى كمن سمع ، ولكن عسى أن ينتفع بورع أبي موسى المكتوب أهل القلوب ، وما لا يدرك كلّ لا بأس بالانتفاع ببعضه ، فشيء مهمما يقلّ أفضل من لا شيء .

فقد جعل أبو موسى من نفسه أسوة حسنة لأهله ، قال أنس بن مالك : « قال الأشعريّ وهو على البصرة : جهّزني فإني خارج يوم كذا وكذا ، فجعلتُ أجهّزه ، فجاء ذلك اليوم وقد بقي من جهازه شيء لم أفرغ منه ، فقال : يا أنس! إني خارج . فقلت : لو أقمّت حتى أفرغ من بقيّة جهازك . فقال : إني قد قلتُ لأهلي : إني خارج يوم كذا وكذا ، وإني إن كذبتُ أهلي كذبوني ، وإن خُنتهم خانوني ، وإن أخلفتهم أخلفوني ، فخرج وقد بقي من حوائجه بعض شيء لم يُفرغ منه (١) » .

وفي الصحيحين : البخاري ومسلم ، من حديث أبي موسى قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة ، ونحن ستة نفر على بعير

(١) طبقات ابن سعد (١١١/٤) وحلية الأولياء (٢٥٩/١) .

نعتقه (١) ، فنقبت أقدامنا ، ونقبت (٢) قدماي وسقطت أظفاري ، فكنا نلف على أرجلنا الخرق ، فسميت : غزوة ذات الرقاع . لما كنا نعصب على أرجلنا من الخرق (٣) . قال أبو بردة بن أبي موسى : « فحدث أبو موسى بهذا الحديث ، ثم كره ذلك وقال : ما كنت أصنع بأن أذكره ، كأنه كره أن يكون شيئا من عمله أفشاه (٤) ، وما أفشى أبو موسى شيئا من عمله ليفاخر به أو لينال سمعة وشرفاً ، فقد كان ذلك معروفاً مشهوراً ، لكنه أراد أن يعلم أهله والمسلمين كيف كان حال النبي صلى الله عليه وسلم وحال أصحابه من فقر وتقشف ، وكيف أصبح عليه حال المسلمين بعد الفتوح من غنى وترف ، فهو يريد لهم التقشف ويحذرهم الترف الذي يؤدي بهم إلى التفسخ والانحلال .

وعن القدوة الحسنة في الجليس الصالح ، خطب أبو موسى يوماً فقال : إن الجليس الصالح خير من الوحدة ، والوحدة خير من الجليس السوء ، ومثل الجليس الصالح كمثّل صاحب العطر إلا يحذك يعبق بك من ريحه ، ألا وإن مثل الجليس السوء كمثّل صاحب الكير إلا يحرق ثيابك يعبق من ريحه . ألا وإنما سمي القلب من تقلبه ، وإن مثل القلب كمثّل ريشة بأرض فضاء تضربها الريح ظهراً لبطن ، ألا وإن من ورائكم فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً والقاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الراكب » ، قالوا : فما تأمرنا ؟ قال :

(١) نعتقه : أي نركبه عقبه بأن يركب هذا قليلاً ثم ينزل ، فيركب الآخر بالنوبة ، حتى يأتي على آخرهم .

(٢) نقبت أقدامنا : أي رقت ، يقال : نقب البعير : إذا رق خفه . وذلك من الحفاء .

(٣) صفة الصفوة (٢٢٥/١ - ٢٢٦) واللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (٤٧٤) .

(٤) كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه : لأن كتمان العمل أفضل من إفشائه ، إلا لمصلحة راجحة ، كأن يكون ممن يقتدى به ، انظر صفة الصفوة (٢٢٥/١ - ٢٢٦) واللؤلؤ والمرجان (٤٧٤) وحلية الأولياء (٢٦٠/١) .

«كونوا أحلاس (١) البيوت (٢)» ، فكل قرين بقرينه يقتدي ، منه يقتبس ، وبه يتأثر .

وعن أبي بردة بن أبي موسى قال : « حدثني أُمي قالت : خرج أبو موسى حين نزع عن البصرة ، وما معه إلا ستمائة درهم عطاء عياله (٣) » ، وهذا مثال رفيع للنزاهة ، ينبغي أن يقتدي به أهله والمسلمون كافة حكاماً ومحكومين ، وبخاصة وأنه كان أمير البصرة وقائداً لجيوشها في أيام مد الفتح الإسلامي ، حيث أصبح المجاهدون في يسر وغنى ، بعد أن كان أبائهم في عسر وفقر .

وكان أبو موسى يقول : « إنما أهلك من كان قبلكم هذا الدينار والدرهم ، وهما مهلكاكم » (٤) فما خرب ضمائر كثير من الناس غير المال الحرام . وبلغ أبا موسى أن ناساً يمنعهم من صلاة الجمعة أن لا ثياب لهم ، فلبس عباءة ثم خرج فصلى بالناس (٥) ، وهو أمير .

وعن أنس بن مالك أنه قال : « كنا مع أبي موسى في مسير له ، فسمع الناس يتحدثون ، فسمع فصاحة فقال : مالي يا أنس ! هلم فلنذكر ربنا ، فإن هؤلاء يكاد أحدهم أن يفري الأديم (٦) بلسانه . ثم قال : يا أنس ! ما أبطأ بالناس عن الآخرة ، وما ثبرهم عنها (٧) ؟ قلت : الشهوات والشيطان . قال : لا والله ! ولكن عجلت لهم الدنيا وأخرت الآخرة ، ولو عاينوا ما عدلوا وما ميلوا (٨) » وصدق أبو موسى ، فالناس أو أكثرهم

(١) أحلاس : جمع حلس ، يقال : حلس بيته : لا يبرحه .

(٢) صفة الصفوة (١/٢٦٦) .

(٣) طبقات ابن سعد (٤/١١١) .

(٤) حلية الأولياء (١/٢٦١) .

(٥) طبقات ابن سعد (٤/١١٢ - ١١٣) وحلية الأولياء (١/٢٥٩) .

(٦) يفري الشيء : شقه ، فته . الأديم : الجلد . ويفري الأديم : يشقه ، يفتته .

(٧) ثبرهم عنها : صدهم عنها ومنعهم من طاعة الله والثبر : الحبس .

(٨) حلية الأولياء (١/٢٥٩) .

يحبون العاجلة ، (وقديماً قالوا: «عصفور في اليد، خير من عشرة على الشجرة»)، والمؤمن كأبي موسى، يؤثر الآخرة على الدنيا، وما عند الله على ما عند الناس .

وذكر أحد الثقة الذين صاحبوا أبا موسى في سفره ، فقال : « كُنّا مع أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه في سفر ، فأوانا الليل إلى بستان حرث فنزلنا فيه ، فقام أبو موسى من الليل يصلي - وذكر من حسن صوته ومن حسن قراءته - ثم قال : وجعل لا يمر بشيء إلا قاله ثم قال : اللهم أنت السلام ومنك السلام ، وأنت المؤمن تحب المؤمن، وأنت المهيمن تحب المهيمن ، وأنت الصادق تحب الصادق (١) » ، وقد كان أبو موسى مؤمناً صادقاً حقاً .

وكان أبو موسى يتوخى اليوم الحار الشديد الحر الذي يكاد ينسلخ فيه الإنسان ، فيصومه (٢) ، تقرباً إلى الله .

وصام أبو موسى ، حتى عاد كأنه خلال (٢) ، فقليل له : «لو أجممت (٤) نفسك» ، فقال : «أيها (٥) ، إنما يسبق من الخيل المضمرة (٦) » ، وربما خرج من منزله فيقول لامرأته : « شدي رحلك فليس على جسر جهنم معبر» (٧) ، يريد : أن العمل الصالح هو السبيل للنجاة من جهنم ، ولا يكون إلا بالتعب والدأب والإيمان .

وكان إذا نام ، لبس ثياباً عند النوم مخافة أن تنكشف عورته (٨) ، وكان

(١) حلية الأولياء (٢٥٩/١) ، وقد ذكر ذلك مسروق .

(٢) حلية الأولياء (٢٦٠/١) وصفة الصفة (٢٢٧/١) .

(٣) الخلال : العود الذي يتخلل به ، أي أنه أصبح ضعيفاً كالخلال .

(٤) أجممت نفسك : أراح نفسه فذهب إعيائها .

(٥) أيها : هيهات .

(٦) ضمير : هزل وقل لحمه . وأضمير : جعله يضمير .

(٧) صفة الصفة (٢٢٧/١) . والمعبر : الشط المهيأ للعبور . والمعبر : ما يعبر به النهر من قنطرة أو سفينة .

(٨) طبقات ابن سعد (١١١/٤) .

يقول : « إني لأغتسل في البيت المظلم ، فأحني ظهري حياء من ربي » ، وكان إذا صلى في بيت مظلم ، تجاذب وحنى ظهره حتى يأخذ ثوبه ولا ينتصب قائماً ، وكان يقول : « إني لأغتسل في البيت الخالي ، فيمنعني الحياء من ربي أن أقيم صليبي » . ورأى قوماً يقفون في الماء بغير أزر ، فقال : « لأن أموت ثم أنشر ، ثم أموت ثم أنشر ، ثم أموت ثم أنشر ، أحب إلي من أن أفعل مثل هذا »^(١) ، وهذا دليل على شدة حيائه .

وكان أبو موسى ممن يتقنون قراءة القرآن من الصحابة ، ويتميز بحسن صوته في القراءة ، وقد مر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عائشة رضي الله عنها ذات ليلة ، وأبو موسى يقرأ القرآن في بيته ، فقاما فاستمعا لقراءته ، ثم إنهما مضيا فلما أصبح لقي أبو موسى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « يا أبا موسى ! مررت بك البارحة ومعني عائشة وأنت تقرأ في بيتك ، فقمنا فاستمعنا لقراءتك » ، فقال أبو موسى : « يا نبي الله ! أما إني لو علمت بمكانك ، لحبرت^(٢) لك القرآن تحبيراً »^(٣) ، وقد أصبح معلماً للقرآن الكريم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده ، وأصبحت له مدرسة في القراءة القرآنية في البصرة ، يتمسكون بها ، ويدافعون عنها ، ويتحيزون لها .

وكان لشدة ورعه يقول : « لئن يمتلئ منخري من ريح جيفة ، أحب إلي من أن يمتلئ من ريح امرأة »^(٤) ، بالحرام طبعاً ، أما بالحلal فالأمر مختلف جداً . وقال أبو موسى لرجل : « مالي أرى عينك نافرة ؟ ! » ، فقال : « إني التفت التفاتة ، فرأيت جارية لبعض الجيش ، فلحظتها لحظة ، فصككتها »^(٥)

(١) طبقات ابن سعد (٤/ ١١٣ - ١١٤) .

(٢) خبر الشيء : زينه ونقمه .

(٣) حلية الأولياء (١/ ٢٥٨) .

(٤) طبقات ابن سعد (٤/ ١١٤) .

(٥) صكه ، دفعه بقوة ، ويريد : نظرت إليها بقوة . وفي التنزيل العزيز : (فصكت وجهها) لطمته تعجباً .

صكة، فنفرت، فصارت إلى ما ترى » ، فقال : « استغفر ربك ، ظلمت عينك، إن لها أول نظرة ، وعليك ما بعدها ^(١) » ، يريد الابتعاد عن إمعان النظر في أعراض الناس خوف الفتنة ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

وقال أبو بردة بن قيس أخو أبي موسى : « قلت لأبي موسى الأشعري في طاعون وقع : اخرج بنا إلى وابق ^(٢) نبدو ^(٣) بها ، فقال أبو موسى : « إلى الله أبق ^(٤) ، لا إلى وابق ^(٥) » ، فهو متوكل على الله وهو حسبه ، والتوكل مزية من مزايا الورع والورع وحال من أحواله .

وطالما أتخف الناس من حوله بوعظه ومواعظه في دروسه وخطبه ، فمن خطبه في البصرة قوله : « أيها الناس ، ابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا ، فإن أهل النار سيكون الدموع حتى تنقطع ، ثم سيكون الدماء حتى لو أجري فيها السفن لسارت » ^(٦) ، يريد أن يخوفهم من أهوال النار ليشجعهم على العمل الصالح الذي يدخلهم الجنة .

وجمع أبو موسى القراء يوماً ، فقال : « لا تدخلوا علي إلا من جمع القرآن » ، فدخل عليه زهاء ثلاثمائة من القراء ، فوعظهم قائلاً : « أنتم قراء أهل البلدة فلا يطولن عليكم الأمد ، فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب أهل الكتاب » ^(٧) ، فقد نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم لما تناول عليهم الأمد ، بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمناً قليلاً ، ونبدوه وراء ظهورهم ، وأقبلوا على الآراء

(١) حلية الأولياء (٢٦١/١) .

(٢) وابق : لم أجد لها ذكراً في معجم البلدان ، ويبدو أنها اسم موضع في البادية القريبة .

(٣) نبدو : نخرج إلى البادية .

(٤) أبق : هرب ، فهو أبق وأبوق .

(٥) طبقات ابن سعد (١١١/٤) .

(٦) طبقات ابن سعد (١١٠/٤) .

(٧) حلية الأولياء (٢٥٧/١) .

المختلفة والأقوال المؤتفكة، وقلدوا الرجال في دين الله ، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، فعند ذلك قست قلوبهم ، فلا يقبلون موعظة ، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد^(١) ، فهو يشير بموعظته إلى الآية الكريمة : ﴿كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَعَسَوْهُ﴾ (٢) .

ومن مواظمه قوله : « تخرج نفس المؤمن وهي أطيب ريحاً من المسك ، فتصعد بها الملائكة الذين يتوفونها ، فتلقاهم ملائكة دون السماء ، فيقولون : من هذا معكم ؟ فيقولون : فلان ، ويذكرونه بأحسن عمله ، فيقولون : حياكم الله وحيا من معكم ، فتنتفتح له أبواب السماء ، فيشرق وجهه ، فيأتي الرب عز وجل ولوجهه برهان مثل الشمس . وأما الآخر ، فتخرج روحه وهي أنتن من الجيفة ، فتصعد بها الملائكة الذين يتوفونها ، فتلقاهم ملائكة دون السماء ، فيقولون : من هذا معكم ؟ ! فيقولون : فلان ، ويذكرونه بأسوأ عمله ، فيقولون : ردوه فما ظلمه الله شيئاً » (٣) ، وقرأ أبو موسى : ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ (٤) .

وصلى أبو موسى يوماً ، ثم خرج إلى الناس ، فقال : « يا أيها الناس ! إنكم اليوم في زمان ، للعامل فيه لله تعالى أجر ، وسيكون بعدكم زمان يكون للعامل فيه لله تعالى أجران (٥) » ، يريد أنكم من التابعين ، قرييون من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ورأيتم قسماً من أصحابه ، فأنتم متأثرون بذلك فلکم أجر واحد ، لأن ظروفكم أفضل من زمان يدب إليه الفساد ، فيكون للعامل فيه أجران ، لقلة العاملين ، وسوء ظروفهم ، وفساد الناس .

(١) تفسير ابن كثير (٢٣٢/٨ - ٢٣٣) .

(٢) الآية الكريمة من سورة الحديد (٥٧ - ١٦) .

(٣) حلية الأولياء (٢٦٢/١) .

(٤) الآية الكريمة من سورة الأعراف (٧ : ٤٠) ، انظر حلية الأولياء (٢٦٢/١) .

(٥) حلية الأولياء (٢٦٤/١) .

وكثيراً ما كان يعتمد الأسلوب القصصي في مواعظه ، ليعمّق تأثيرها في العقول والنفوس معاً ، فلما حضرته الوفاة قال : « يا بني ! اذكروا صاحب الرغيف ! كان رجل يتعبّد في صومعة إزاء سبعين سنة ، لا ينزل إلّا في يوم واحد فشبه الشيطان في عينه امرأة ، فكان معها سبعة أيام أو سبع ليال . ثم كُشف عن الرجل غطاؤه فخرج تائباً ، فكان كلّما خطا خطوة صلى وسجد . فأواه الليل إلى دُكان كان عليه اثنا عشر مسكيناً ، فأدركه العياء ، فرمى بنفسه بين رجلين منهم . وكان ثمّ راهب يبعث إليهم كلّ ليلة بأرغفة ، فيعطي كلّ إنسان رغيفاً ، فجاء صاحب الرغيف فأعطى كلّ إنسان رغيفاً ، ومرّ على ذلك الرجل الذي خرج تائباً ، فظنّ أنّه مسكين فأعطاه رغيفاً . فقال المتروك لصاحب الرغيف : مالك لم تعطني رغيفي ما كان بك عنه غنى ؟ فقال : أتراني أمسكته عنك ، واللّه لا أعطيك الليلة شيئاً ، فعمد التائب إلى الرغيف الذي دفعه إليه ، فدفعه إلى الرجل الذي ترك ، فأصبح التائب ميتاً ، فوزنت السبعون سنة . . بالسبع الليالي ، فرجحت السبع الليالي ، ثم وزنت السبع الليالي بالرغيف ، فرجح الرغيف ! فيأبني ! اذكروا صاحب الرغيف ! » (١) .

ومن أقواله : « وما ينتظر من الدنيا ، إلّا كلاً (٢) محزناً ، أو فتنة تنتظر (٣) » ، في وصف الدنيا التي لا تأتي إلّا بالمصائب والأحزان ، ولا يجدي معها إلّا الصبر الجميل .

ولا يمكن التّخلي عن فقرة ورعه ، دون تذكر موقفه من الفتنة الكبرى واعتزاله القتال دون أن يتخلى عن علي بن أبي طالب لأنّه الخليفة ، ولا عن الكوفة لأنها مقر الخلافة ، فكان ولاؤه لعلي في كلّ شيء إلّا القتال ، لأنّ الاقتتال كان بين المسلمين ، وورعه يحول دون أن يقاتل مسلماً أو يقتل

(١) حلية الأولياء (٢٦٣/١) وصفة الصفوة (٢٢٧/١ - ٢٢٨) .

(٢) الكلّ : من لا ولد له ولا والد ومن يكون عبثاً على غيره ، والضعيف ، وفي التنزيل العزيز (وهو كلّ على مولاه) ، والثقل لا خير فيه .

(٣) حلية الأولياء (٢٦٠/١) .

مسلمًا ، أو يشجع على الاقتتال بين المسلمين ، أو يسكت عن هذا الاقتتال ولا يأمر بأعلى صوته وبأصرح عباراته بالكف عن الاقتتال .

وقد ضحى بسبب اعتزاله الفتنة ، وأمره بالابتعاد عنها ومقاومتها ، بمنصبه وحظوته وبكل المظاهر الدنيوية ، لأن التزامه بالورع كان أعلى عليه من كل ما في الدنيا من مناصب ومظاهر ومتاع .

كما أن موقفه في التحكيم ، أملاه عليه ورعه ، وما غلبه عمرو بن العاص ، بل غلبه ورعه ، فخر كل ما يملك ، وهام على وجهه هاربًا ، حتى استقر في مكة مبتعدًا عن العدو والصديق ، إن كان قد أبقى له قول الحق صديقًا .

ولم يحقد معاوية على أبي موسى ، لأنه كان متيقنًا أنه كان يتصرف بوحى ورعه ، فحفظ له حرمة في حياته وبعد موته . قال أبو بردة (١) : « دخلت على معاوية بن أبي سفيان حين أصابته قرحة ، فقال : هلم يا ابن أخي ، تحول فانظر . فتحولت فنظرت فإذا هي قد سبرت (٢) يعني قرحته - فقلت : ليس عليك بأس يا أمير المؤمنين ، فدخل يزيد بن معاوية ، فقال له معاوية : إن وليت من أمر الناس شيئًا ، فاستوص بهذا ، فإن أباه كان أخا لي ، غير أنني قد رأيت من القتال ما لم ير » (٣) .

وهذا هو منتهى الاستقامة والثبات على المبدأ ، لا يميل مع الريح حيث تميل ، ولكن يبقى مع الحق وحده ، مهما يتحمل في سبيل الحق من أهوال . هذا هو مبلغ ورع أبي موسى ، لذلك كان موضع ثقة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده ، وقد كتب عمر في وصيته : « أن لا يقر لي عامل

(١) أبو بردة بن أبي موسى الأشعري .

(٢) سبرت : غارت .

(٣) طبقات ابن سعد (٤/١١٢) .

أكثر من سنة ، إلا أبا موسى فليقر أربع سنين (١) . كما كان موضع ثقة الناس به . وقد يكون أول عامل اختاره الناس عاملاً على بلدهم بعد أن رفضوا استقبال عاملهم السابق ، وحملوا الخليفة على توليته عليهم وإعفاء عاملهم الذي كان قبله .

والقول بأن المناصب تولى لذوي الكفايات العالية ، بحيث يكون الرجل المناسب في المنصب المناسب ، قول لا غبار عليه ، يتفق اتفاقاً كاملاً مع ما كان عليه الأمر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده .

ولكن هذا القول لا يغني عن كل قول ، فالواقع أن الذي يولى لا بد أن يتيسر فيه شرطان : الكفاية العالية ، والورع المطلق ، فلا بد من أن يكون الوالي ذا كفاية وورعاً .

وهذان الشرطان في أبي موسى ، هما اللذان جعلاه موضع ثقة رؤسائه ومرؤوسيه في وقت واحد ، ولم يسرا له النجاح في واجباته الكثيرة المتشابهة فحسب ، بل يسرا له التميز في النجاح .

وقد ذكرنا ما فيه الكفاية عن كفاية أبي موسى في الحديث عن أبي موسى : الإداري ، وبقي أن نتحدث عن ورع أبي موسى بإيجاز شديد ، بعد أن تحدثنا على أدلة ذلك الورع الأصيل .

إن الورع درجات ، أعلاها هو أن يطبق الورع على نفسه أولاً أحوال الورع ، وأن يأمر به غيره من الناس ويكون مثلاً شخصياً يقتدى به في اقتباس أحوال الورع ، وأن يكون مستعداً أن يضحي بكل ما يملك من غال ونفيس من أجل ورعه ، ولا يضحي بورعه من أجل ما يملك من غال ونفيس .

ذلك هو الورع في أعلى درجاته ، وهذا هو ما طبقه أبو موسى على نفسه حاكماً ومحكوماً ، رئيساً ومرؤوساً ، وقائداً وجندياً ، ومرشداً وقاضياً ،

فكان بحق كما وصفوه : العامل المعلم صاحب القراءة والمزمار ، الرياض نفسه بالسياحة في المضمار .

لقد أتعب أبو موسى نفسه في حياته ، وأتعب من جعله أسوة حسنة له في حياته وبعد رحيله ، وخسر كل شيء مادي يملكه ، ولكنه ربح نفسه ، وقد مات كثير من أصحاب السلطان والأموال وهم أحياء ، فلا ذكر لهم بالخير والثناء ، لأنهم ربحوا السلطة والمال ، وخسروا أنفسهم ، وبقي ذكر أبي موسى عطراً في التاريخ وبين الناس ، وتلك هي عبرته لأصحاب القلوب العامرة بالإيمان ولأصحاب الجيوب المتخمة نفوسهم بالظلام . وهل يستوي أصحاب القلوب وأصحاب الجيوب ؟

الرجل

نزل أبو موسى الكوفة ، وابتنى بها داراً ، وله بها عقب (١) ، وقد نزل الكوفة بعد أن عزله عثمان بن عفان عن البصرة سنة تسع وعشرين الهجرية كما ذكرنا .

وبعد التحكيم الذي كان فيه ممثلاً لعلي بن أبي طالب وأهل العراق ، وعمر بن العاص ممثلاً لمعاوية بن أبي سفيان وأهل الشام ، هرب أبو موسى من مثابة التحكيم مباشرة إلى مكة المكرمة خوفاً من أنصار علي المتحمسين له ولكنه عاد إلى الكوفة بعد استشهاد علي بن أبي طالب ومبايعة معاوية بن أبي سفيان بالخلافة ودخوله الكوفة سنة إحدى وأربعين الهجرية (١) ، فاستقبل معاوية أبا موسى بالنخيلة، وعلى أبي موسى عمامة سوداء وجبة سوداء ومعه عصاً سوداء (٢) كما ذكرنا ذلك قبل قليل .

(١) طبقات ابن سعد (١٦/٦) .

(٢) العبر (٤٨/١ - ٤٩) .

(٣) طبقات ابن سعد (١١٣/٤) .

ولما حضر أبا موسى الموت ، جمع بنيه فقال : « انظروا إذا أنا مت ، فلا تؤذّننَّ بي أحداً ، ولا يتبعني صوت ولا نار ، وليكن ممسى أحدكم بحذاء ركبتني من السرير » . ولما أغمي عليه بكت ابنة الدومي أم أبي بردة ، فقال : « أبرأ إليكم من حلق وخلق وخرق ^(١) وأغمي عليه ، فبكوا عليه ، فقال : « أما علمتم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » ، فذكروا ذلك لامرأته ، فسألته ، فقال : « من حلق وخرق وخلق » . وأغمي على أبي موسى ، فبكوا عليه ، فأفاق وقال : « إني أبرأ إليكم مما برئ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حلق وخرق وخلق » ، وأغمي عليه في مرضه ، فصاحت عليه أم بردة ، فأفاق ، فقال : إني برئ من حلق وخلق وشق » ، يقول ذلك للخامشة وجهها . وقال : « إذا حفرتم لي ، فأعمقوا لي قعره » ، وقال : « أعمقوا لي قبري ^(٢) » .

ومات أبو موسى سنة ثنتين وخمسين الهجرية في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، وقال بعض أهل العلم : « إنه مات قبل هذا الوقت بعشر سنين ، سنة ثنتين وأربعين الهجرية ^(٣) . وقيل : مات سنة أربع وأربعين الهجرية ^(٤) ، وقيل : سنة خمسين الهجرية أو سنة اثنتين وخمسين الهجرية ^(٥) ، وأكثر المصادر تتفق على أن وفاته كانت سنة ثنتين وأربعين الهجرية أو سنة أربع وأربعين الهجرية ^(٦) ، وهي المصادر القديمة ومصادر المحدثين : القديمة منها قريبة العهد من الذين سجلت سيرهم ، والمحدثون الموثوق بهم معروفون بصدقهم ودقتهم .

(١) حلق الرأس : أزال الشعر عنه . سلق : صاح ورفع صوته . خرق : خرق الشئ : شقه ومزقه .

(٢) طبقات ابن سعد (١١٥/٤ - ١١٦) .

(٣) طبقات ابن سعد (١١٦/٤) و (١١٦/٦) .

(٤) العبر (٥٢/١) وصفة الصفوة (٢٢٨/١) .

(٥) الطبري (٢٤٠/٥) وابن الأثير (٤٧١/٣) وانظر البداية والنهاية (٦٠/٨) .

(٦) أنساب الأشراف (٢٠١/١) وطبقات ابن سعد (١١٦/٤) والعبر (٥٢/١) وصفة الصفوة

(٢٢٨/١) وتهذيب الأسماء واللغات (٢٦٩/٢) وتهذيب التهذيب (٣٦٣/٥) .

يؤيد ذلك ما جاء في مصادر المحدثين ، أنه مات وهو ابن ثلاث وستين سنة^(١)، ولو مات في الخمسينات ، لكان مولده سنة ثلاث عشرة قبل الهجرة ، فمتى أسلم في مكة ، والمعروف أنه أسلم قديماً ، فإذا قدرنا أنه أسلم في السنة الخامسة من الرسالة ، أو السنة الثامنة قبل الهجرة ، فمعنى ذلك أنه أسلم وهو في الخامسة من عمره ، وهذا غير منطقي ولا معقول . فلا بد أنه توفي سنة اثنتين وأربعين الهجرية أو سنة أربع وأربعين الهجرية^(٢)، وأرجح ما اقتنع به البخاري من أن وفاته سنة أربع وأربعين الهجرية ، لأن البخاري شيخ المحدثين وأكثرهم دقة وتوثيقاً ، فيكون مولد أبي موسى سنة تسع عشرة قبل الهجرة ، أي قبل البعثة النبوية بست سنوات ، فإذا أسلم في الخامسة من البعثة ، فمعنى ذلك أنه أسلم في الحادية عشرة من عمره ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه إلى اليمن في السنة التاسعة الهجرية وهو ابن ثمان وعشرين سنة وأنه عاش ثلاثاً وستين سنة قمرية ، وعاش إحدى وستين سنة شمسية (٦٠٣م - ٦٦٤م) .

ويبدو أنه كان ميسور الحال في مكة ، فقد كان يمتلك بئراً فيها بالمعلاة^(٣)، ولم يكن في حينه يمتلك بئراً من الآبار المعدودة غير الميسورين . تزوج أم كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب^(٤) ، كما تزوج ابنة الدومي^(٥) ، ولا نعرف عن زواجه الأخرى شيئاً . وأكبر أولاده : إبراهيم ، قال أبو موسى : « ولد لي غلام ، فأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسماه : إبراهيم ، وحنكه بتمر »^(٦) .

(١) تهذيب التهذيب (٣٦٣/٥) وتهذيب الأسماء واللغات (٢٦٩/٢) .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢٦٩/٢) .

(٣) المعلاة : موضع بين مكة وبدر ، انظر معجم البلدان (٩٩/٨) ، ويبدو أن البئر في مكة ، انظر البلاذري (٦٨) .

(٤) المعارف (١٢١) والمحبر (٤٣٩) .

(٥) طبقات ابن سعد (١١٥/٤) .

(٦) طبقات ابن سعد (١٠٧/٤) .

وأبو بكر ابن أبي موسى ، واسمه كنيته ، وكان أسن من أبي بردة .
وأبو بردة بن أبي موسى ، وأمه ابنة الدومي . وموسى بن أبي موسى ، وأمه
أم كلثوم بنت الفضل ابن العباس بن عبد المطلب ^(١) ، وكان أبو بكر أحول ،
فهو معدود من الحولان الأشراف ^(٢) ، وكان أبو بردة بن أبي موسى قاضياً
للحجاج بن يوسف الثقفي ، ولاء بعد شريح ^(٣) ، واسم أبي بردة : عامر .
ومحمد بن أبي موسى ، وعبد الله بن أبي موسى ، ولأولاد أبي موسى في
البصرة والكوفة عدد ، ومنهم بالأندلس ^(٤) .

وأبو موسى رجل خفيف الجسم ، قصير ، أثظ ^(٥) .
وقد مات أبو موسى بالكوفة ، وقيل : إنه مات بمكة ^(٦) ، والأول أصح ،
لأنه لقي معاوية بالنخيلة قبل موته بقليل ، والنخيلة قريبة من الكوفة كما
ذكرنا ، وقد مات بداره في الكوفة ^(٧) ، ودفن بـ (الثوية) ^(٨) بالكوفة .
وكان قد نزل الكوفة ، وابتنى بها داراً ^(٩) ، ليأوي إليها أهله وولده ، ولا
نعلم أنه خلف غير هذه الدار في الكوفة ، ويبدو أنه كان ميسوراً قبل
إسلامه ، فقد كان من أصحاب الآبار المعروفة في حينه ، وكانت في تلك
الأيام غالية الثمن ، تدر على صاحبها المال الوفير ، مما يدل على أنه لم
يزدد بعد إسلامه غنى ، بل أنفق ما كان يملك قبل إسلامه بعد إسلامه في

(١) المعارف (٢٦٧) .

(٢) المحبر (٢٠٣) .

(٣) المحبر (٢٧٨) .

(٤) جمهرة أنساب العرب (٣٩٧) - (٣٩٨) .

(٥) طبقات ابن سعد (١١٥/٤) والمعارف (٢٦٦) وانظر المحبر (٣٠٥) ، والنط : هو الذي لا حية
له ، وهو الكوسج ، والسناط .

(٦) أسد الغابة (٣٠٩/٥) والاستيعاب (٩٨١/٣) .

(٧) الاستيعاب (٩٨٠/٣) .

(٨) الثوية : موضع قريب من الكوفة ، وقيل : بالكوفة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٨/٣)
، وهو موضع مقبرة بالكوفة .

(٩) طبقات ابن سعد (١٦/٦) .

سبيل الله ، وقد رأينا كيف خرج من البصرة حين نزع عنها وما معه إلا ستمائة درهم عطاء عياله ، مما يدل على نزاهته المثالية المطلقة ، وكان بمقدوره أن يصبح غنياً من عطائه أميراً ومن الغنائم في الفتوح ، ولكنه كان كما يبدو لا يبقى لديه شيئاً^(١) .

ومناقب أبي موسى كثيرة^(٢) ، ذكرنا بعضها في سيرته إنساناً ، فإذا لم يخلف شيئاً من متاع الدنيا ، فقد خلف الذكر المستطاب ومضى الذين خلفوا المتاع ، ومضى متاعهم ، وبقي الذين خلفوا الذكر الحسن بما خلفوه وشتان بين الذكر الباقي والمتاع الفاني ، وتلك هي عبرة العمل الصالح في هذه الحياة للذين يريدون أن يعملوا قبل الرحيل .

القائد

« سيد الفوارس أبو موسى^(٣) » ، تلك هي قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبي موسى الأشعري ، وهي شهادة تقلد أبا موسى أرفع وسام معروف من أوسمة الشجاعة الخارقة .

وكانت هذه الشهادة النبوية ، نتيجة من نتائج المواقف البطولية لأبي موسى ، فقد ولّى النبي صلى الله عليه وسلم أبا عامر الأشعريّ عم أبي موسى سرية لمطاردة المنهزمين من المشركين في غزوة حنين ، فقتل تسعة من أبطال المشركين في المبارزة ، ثم قتله العاشر ، لأنه كان بطل أبطالهم ، ولكن أبا موسى قتل قاتل عمه^(٤) ، وقاد رجال السرية إلى نصر حاسم ، كان يمكن أن يؤدي قتل قائدها أبي عامر الأشعريّ إلى هزيمة شنعاء ، كما

(١) طبقات ابن سعد (١١١/٤) .

(٢) تهذيب التهذيب (٣٦٣/٥) .

(٣) طبقات ابن سعد (١٠٧/٤) .

(٤) مغازي الواقدي (٩١٥/٣ - ٩١٦) .

كان يحدث في الحروب القديمة عند قتل القائد ، إذ تنهار معنويات رجاله ، ويهربون من ساحة القتال .

كما أنه قتل في معركة واحدة تسعة من المشركين (١) ، فكان يضرب لرجاله بشجاعته في القتال أروع الأمثال .

لقد كانت الحروب القديمة بحاجة إلى قائد يتميز بالشجاعة والإقدام لأنه كان عليه أن يتقدم الصفوف ويبارز أعداءه إذا ما دعي للمبارزة ، فإذا لم يدع إليها واقتضت ظروف المعركة أن يرفع معنويات رجاله ويزعزع معنويات عدوه بالدعوة إلى مبارزة قائد أعدائه أو أبطالهم ، فلا بد أن يبادر هو بالدعوة إلى المبارزة ، وهذا ما يحتاج إلى الشجاعة والإقدام .

وقد كان أبو موسى بحق شجاعاً مقداماً ، أثبتت أيامه في المعارك أنه ليس فارساً حسب ، بل هو سيد الفوارس ، في أيام كانت الشجاعة فيها هي القاعدة والجن هو الاستثناء .

ولكنه لم يكن يعتمد الشجاعة وحدها في قتاله ، بل كان يعتمد الشجاعة والعقل : يبدأ بالعقل ، فيحاول أن يحقق أهدافه من عدوه بالمفاوضات وعقد الصلح وإشاعة السلام والتعاون الوثيق بين الغالب والمغلوب ، نتيجة للمعاملة بالحسنى وتحكيم المنطق والعقل . ولكن إذا لم ينجح في عروضه السلمية للصلح ووضع حد للقتال ، ولم يبق أمامه إلا الأسنة مركباً ، أقدم على ركوبها غير متردد ، بشجاعة وإقدام : « نزل أبو موسى بأصبهان ، فعرض عليهم الإسلام ، فأبوا ، فعرض عليهم الجزية ، فصالحوه على ذلك ، فباتوا على صلح ، حتى إذا أصبحوا أصبحوا على غدر ، فبارزهم القتال ، فلم يكن أسرع من أن أظهره الله عليهم (٢) » .

تلك هي سياسته في القيادة ، وذلك هو منهجه القيادي : العقل أولاً ، والشجاعة ثانياً ، وتلك هي تعاليم الإسلام الجازمة في القتال : الإسلام ، أو

(١) جوامع السيرة (٢٤١) .

(٢) طبقات ابن سعد (٤/١١٠) .

الجزية ، أو القتال ، طبقها أبو موسى كأحسن ما يكون التطبيق قائداً .
وكانت الحروب القديمة بخاصة ، بحاجة إلى قادة ، يعملون بعقولهم
وسيوفهم ، بعقولهم : لإعداد الخطط العسكرية ، وتبليغها ، وتنفيذها ، وإدارة
المعارك ، ومفاوضة الأعداء قبل نشوب القتال للصلح ، وفرض السلام
بالحكمة والحسنى والمنطق ، ويعملون بسيوفهم في المعركة : يبارزون
الأبطال ، ويصاولون الأعداء .

والحق أن أبا موسى كان مثلاً رائعاً للقائد المتميز الذي يعمل بعقله وسيفه
معاً في آن واحد ، العقل أولاً ، والسيف ثانياً وأخيراً ، لذلك انتصر في كل
معاركه التي خاضها ، ولم ينكص له لواء واحد طيلة حياته العسكرية
الطويلة ، التي امتدت أكثر من عشرين سنة متواصلة .

وليس من الغريب أن يفتح أبو موسى تسع مناطق صلحاً ، ومنطقة
واحدة عنوة ، فهذا دليل قاطع على أنه كان يعمل بعقله أولاً وقبل كل
شيء ، والسيف ثانياً وأخيراً ، والقول أن ما عمله هو مجرد تطبيق عملي
لتعاليم القتال في الإسلام حق لا ريب فيه ، ولكن تطبيق هذه التعاليم بمثل
هذا النجاح الباهر والنسبة العالية من الصلح لا يقدر عليه كل مسلم حق ، ولا
يقدر عليه إلا من تميز بالعقل الراجح والإيمان العميق ، وهو ما تميز به أبو
موسى في هذا المجال .

وعقليته المتميزة ، جعلته سريع القرار سليمه ، والسرعة في إصدار القرار
ضرورية في القتال ، لتطور أحوال المعركة بسرعة خاطفة في كثير من
الأحيان مما يجعله قادراً على مواكبة المعركة في الوقت والمكان الجازمين .
وكان ذا إرادة قوية ، إذا قرَّر فلا بد من أن يضع قراره في حيز التنفيذ ،
فيصبح عملاً ولا يبقى كلاماً .

وكان ذا شخصية رصينة ، فلا يصدر أمراً لا يمكن تنفيذه ، بل يصدر
أوامر قابلة للتنفيذ بسهولة ويسر ، أو بصعوبة وعسر ، على كل فهي أوامر
يمكن تنفيذها وكفى ، وشخصيته الرصينة كفيلة بحمل رجاله الذين صدرت
الأوامر إليهم والمسؤولين عن تنفيذها ، على وضعها في حيز التطبيق العملي

الجاد المثمر بما يمكن من السرعة والإتقان .

وكان يتحلّى بمزايا الضبط المتين ، ويؤمن بمبادئ السمع والطاعة ، فلا مخالفة، ولا تردد في التنفيذ ، ولا دعوة إلى فتنة ولا مشاركة فيها باللسان أو اليد أو السيف أو بها جميعا ، ولا التشجيع عليها من قريب أو بعيد ولا بالتلميح أو التصريح . كما فرض على نفسه مختاراً مبدأ السمع والطاعة للخليفة القائم ، فكان دائماً مع الخلفاء على أعدائهم ، كذلك فرض على رجاله السمع والطاعة لقيادته ، فلم نسمع عن مخالفة واحدة لأوامره قائداً وإدارياً ، مع أنه كان على البصرة والكوفة وعلى جيش البصرة وجيش الكوفة، والبصرة والكوفة لا ترضيان عن قائد ولا أمير ، ولا يرضى عنهما قائد ولا أمير .

وكان يتحمل المسؤولية إلى الحدود التي لا مخالفة في تحملها لأوامر رؤسائه ، إذ هو لا يطبق خلاف ذوي الأمر المسؤول أمامهم مباشرة كالخليفة أو قائده العام ، فهو من هذه الناحية قائد متبع وليس قائداً مبتدعاً . وإذا اقتضى الأمر مخالفة أوامر رئيسه المباشر ، فهو يعرض الأمر للرئيس ويعرض له ظروفه ويبسط له عذره ، ثم ينتظر جواب رئيسه ويعمل بما يأمره به نصاً وروحاً، بدون مخالفة ولا خلاف .

وكانت له نفسية لا تتبدل في حالتي الرخاء والشدة ، فهو بخير في الحالتين ، إذا أصابه الخير شكر ، وإذا أصابه الشر صبر ، لا يبطره الرخاء ، ولا تجزعه الشدة .

وكان يعرف نفسيات رجاله وقابلياتهم ، فيكلف كل واحد منهم بما يتفق مع نفسيته ويناسب قابليته ، ولا يحمله ما يكره أو ما لا يطيق .

وكان موضع ثقة رؤسائه من خلفاء وأمرء وقادة ، لأنه كان مطيعاً بعيداً عن خلق المشاكل ، وكان يبادلهم الثقة بثقة مثلها ، فيخلص في عمله وفي أداء واجبه فيرضيهم بالأعمال كما يرضيهم بالطاعة المطلقة . وكان موضع ثقة رجاله ، لا يستطيعون إلا الإعجاب به والتقدير له ، لأنه يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الآخرون ، ولا يفعل في الخفاء ما لا يفعله في العلن . كما

كان يثق برجاله كما يثقون به ، والثقة المتبادلة من عوامل النصر ، لأن التعاون بين القائد ورجاله يكون صادراً عن القلب ، فيكون تعاوناً وثيقاً إلى أبعد الحدود .

وكان موضع حب رؤسائه ومرؤوسيه : موضع حب رؤسائه ، لأنه مطيع وبعيد عن الفتنة ، ويؤدي واجبه على أحسن ما يرام . وموضع حب مرؤوسيه لأنه لا يظلمهم ، ولا يغمط حقوقهم ، ويعرف لهم أقدارهم ، ولا يحرم أحدهم من منصب ولا عطاء يستحقه ، ولا يتأثر بالمحسوبية والمنسوبية والوساطات لتقديم من لا يستحق التقدم ، فيحرم المستحق ويقدم غير المستحق ، فهو دائماً يصون حقوق رجاله مادياً ومعنوياً . وبدوره يبادل رؤسائه ومرؤوسيه حباً بحب ، ويحب لهم ما يحبه لنفسه .

وكانت له قابلية بدنية متميزة تعينه على تحمل المشاق العسكرية، فكان إذا مطرت السماء ، قام فيها حتى تصيبه السماء ، وكأنه يعجبه ذلك^(١) ، ولا يتستر من المطر خوف البلل . وكان متقشفاً بطبعه في مأكله وملبسه ومسكنه ، يكتفي منها بالنزر القليل الذي يسد الحاجة ويستر العورة ، ولا يميل إلى الترف والمترفين ، ولا إلى السرف والمسرفين ، ولا يميل إلى الراحة والدعة ولذيق العيش . وكانت له طاقة نفسية عجيبة على مغالبة اليأس والقنوط والجزع ، والركون إلى الصبر الجميل على المكارِه والمصائب والآلام . كل ذلك جعله يفضل أن يكون في ساحات القتال على أن يكون بين أهله آمناً مطمئناً ، لهذا نراه قد قضى أكثر حياته مجاهداً ، لأنه كان يعتبر الجهاد في سبيل الله من أعظم العبادات ، لا يبالي في جهاده أن يكون قائداً عاماً ، أو قائداً مرئوساً يضع نفسه بإمرة غيره من القادة - حتى القادة الذين ولاهم هو وبعث بهم إلى ساحات القتال ، وهذا مالا يقدر عليه إلا المجاهدون الصادقون الصابرون المحتسبون الصادقون .

وما شخصه أبو موسى ، في الحكم والسياسة ، ينطبق على ما يقوله رجال

(١) طبقات ابن سعد (١١٣/٤) .

القانون والسياسة في القرن الأخير نتيجة دراساتهم الجامعية وتجاربهم العلمية ونضوجهم الفكري ، ولكن أبا موسى أرسل قوله تلك نتيجة عقليته المتزنة ورأيه السديد وحكمته وتجاربه في حياته العملية .

وهذه المزايا الفكرية والعقلية ، جعلت قيادته تنجح بالصلح مع الأعداء في تسع مناطق ، وتنجح بالقتال في منطقة واحدة ، أي أن تسعين بالمائة من نجاحه قائداً كان بالصلح ، وعشرة بالمائة فقط نجاحه قائداً بالقتال ، وهذا حقق له أهدافه بخسائر قليلة جداً بالأرواح ، ولو انعكس الأمر لتضاعفت خسائره لتحقيق تلك الأهداف .

وهذا هو فضل العقل المتزن والرأي السديد بالنسبة للقائد ، فالخير لا يقتصر عليه ، بل يشمل رجاله كافة ، فلا يتكبدون خسائر فادحة دون مسوغ ، إذ يحقق لهم قائدهم أهدافهم من القتال كاملة ، ويحفظ لهم أرواحهم ، فلا عجب أن يكون أبو موسى موضع ثقة رجاله ثقة بلا حدود . وعند مقارنة أعماله العسكرية بمبادئ الحرب ، نجد أنه : (يختار مقصده ويديمه) ولا يحيد عنه ، فهو يعرف ما يريد ، ويبذل جهده لتحقيقه ، ولا يستطيع عدوه أن يجبره على تبديل رأيه بشكل أو بآخر . مثلاً إذا قصد هدفه السوقي ، فحاول عدوه افتعال معركة جانبية لصرفه عن هدفه السوقي إلى هدف تعبوي ولا قيمة للهدف التعبوي إلى جانب الهدف السوقي كما هو معروف ، إلا أن أبا موسى لم يكن من أولئك القادة الذين يصرفون عن تحقيق مقصدهم بمثل تلك الأساليب ، فكان يمضي قدماً لتحقيق هدفه المختار ، غير ملتفت إلى الأعيب خصمه .

وكانت معارك أبي موسى كلها (تعرضية) ، فلا نعرف له معركة واحدة دفاعية أو انسحابية ، فهو قائد تعرضي ، يقدر قيمة التعرض في رفع معنويات رجاله من جهة ، وزعزعة معنويات أعدائه من جهة أخرى .

وكان في تعرضه ، يحاول أن : (يباغت) عدوه إذا استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وقد أفلح في تحقيق هذا المبدأ الحيوي في كثير من عملياته العسكرية ، فأجبر عدوه على قبول الصلح أو الفرار من ميدان القتال ،

والمباغنة كما نعلم من أهم مبادئ القتال على الإطلاق .
 وكان يعمل على : (تحشيد قوته) للمعركة ، وقد أدى حين كان على
 البصرة دورين مهمين لهما علاقة مباشرة بالناحية العسكرية من حياة أبي
 موسى العامة، هما : دور حشد القوة وإرسالها إلى ميادين القتال بقيادة أحد
 القادة المرؤوسين ، ودور قيادة رجاله من أهل البصرة الذين حشدتهم للقتال .
 ولا بد أن نعرف أن واجب التحشد الذي نهض به أبو موسى في تلك الأيام ،
 كان في أوج مد الفتح الإسلامي العظيم ، وأن أهل البصرة كان لهم الأثر
 الحاسم في فتوح المشرق الإسلامي ، مما يشير إلى دور أبي موسى المتميز في
 تحشيد القوة ، فقد بذل قصارى جهده بأحسن طريقة وأسلوب في حشد
 المجاهدين وتسييرهم إلى ميادين الجهاد بالعدد والعدد الكاملين وبالقيادات
 المتمرسنة المقتدرة .

وكان يطبق مبدأ : (الاقتصاد بالمجهود) فلا يُعطي خسائر بالأرواح دون
 مسوغ ، وقد لمسنا بوضوح نجاحه في إقرار الصلح في أكثر أيام قيادته
 وعدم اللجوء إلى السلاح إلا مضطراً ، وكان أهم أسباب هذا المسلك الذي
 سلكه في قيادته هو الاقتصاد بالمجهود في تحقيق أهدافه من القتال بالسلام
 لا بالحرب ، حفاظاً على أرواح الرجال أن تزهق بدون استنفاد الجهود كافة
 في بقائها على قيد الحياة .

وكان : (يتعاون) تعاوناً وثيقاً صادقاً مع غيره من القادة المسلمين بكل
 رحابة صدر وعن طيبة خاطر ، كما أنه كان يحمل قواته على التعاون فيما
 بينها تعاوناً وثيقاً صادقاً ، وبدون تعاون وثيق يصعب إحراز النصر .

وكان يطبق مبدأ : (الأمن) تطبيقاً مثالياً ، فقد حمى رجاله بشتى
 الوسائل والأساليب ، لكيلا يباغتهم عدوهم ، ولا نعرف أن رجاله بوغتوا من
 عدوهم في يوم من الأيام . كما بذل قصارى جهده لمنع عدوه من الحصول
 على المعلومات عن قواته ، فحرم عدوه من رصد حركاتها ونياتها .

وكانت خطته العسكرية التي يعدها لتحقيق أهدافه من القتال تتسم :
 (بالمرونة) ، صالحة للتطبيق في كل وقت ، كما أنها صالحة للتحويل في حالة

تبدل الموقف من حال إلى حال . فقد كان يسبق النظر ، ويحسب لكل ما يتوقع حسابه ، ويدخل في خطه أسوأ الاحتمالات ، فإذا وقعت كان مستعداً لها بالمعالجة المدروسة المستحضرة ، وإذا لم تقع لم يخسر شيئاً في استعداداته الرصينة .

وإذا كان أبو موسى يطبق كل هذه المبادئ القتالية ، فهو بدون شك : (يديم المعنويات) إدامة مستمرة بالنصر ، والمعنويات تركز على أساسين : الإيمان ، والنصر ، وقد تيسرا في أيام أبي موسى تيسراً عظيماً ، فلا عجب أن ترتفع المعنويات إلى عنان السماء .

وقد كان أبو موسى يديم معنويات رجاله ، بشجاعته الشخصية النادرة ، وقيادته الحكيمة المتزنة ، ومواعظه الحسنة المستمرة ، وبمثاله الشخصي لرجاله في الورع والتقوى ، وبانتصاراته المتعاقبة الباهرة .

وكان يطبق مبدأ : (الأمر الإداري) ، فلا ينقص رجاله ما يأكلون ويلبسون ولا ما يتسلحون به ولا ما يحملون عليه ، وتصل أعطياتهم إلى من يعملون ، فلا يكون المجاهد في ميدان الجهاد ، ويبقى قلقاً على أهله وذويه في شيء . وبعد النصر كان يقسم بالسوية ، فينال كل مجاهد ما يستحقه من الغنائم : للفارس حقه ، وللراجل حقه ، بموجب تعاليم الدين الحنيف .

لقد كان أبو موسى يطبق كل مبادئ القتال تطبيقاً سليماً .

وكان أبو موسى يتمتع بمناصب ناصع مجيد ، فهو صحابي جليل ، قديم الإسلام ، ومن أصحاب الأيام ، شجاع مقدام ، قاض ومعلم ، ومحدث وفقه . والرجل الذي يقاتل تحت راية قائد له ماض ناصع مجيد ، غير الرجل الذي يقاتل تحت راية قائد ليس له في سجل الباقيات الصالحات ذكر مستطاب أو ليس له أي ذكر على الإطلاق .

وكان بالإضافة إلى كل تلك المزايا ، يساوي نفسه برجاله ، بل كان يستأثر دونهم بالخطر ويؤثرهم بالأمن ، ويؤثرهم على نفسه بالخير المادي ، ويكتفي هو بالقليل القليل .

وكان يستشير رجاله بكل أمر من أموره وبكل موقف من مواقفه ، فإذا استقر الرأي على قرار ، عمل بمشورتهم وعزا الفضل لذوي الفضل .
لقد كان أبو موسى قائداً لامعاً حقاً .

السفير

كان أبو موسى من سفراء النبي صلى الله عليه وسلم ، أرسله ومعاذ بن جبل إلى جملة اليمن داعين إلى الإسلام ، فأسلم عامة أهل اليمن : ملوكهم ، وسوقتهم (١) ، وكان إرسالهما إلى اليمن معاً في وقت واحد (٢) ، وروى الإمام أحمد بن حنبل ، أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن فقال لهما : « بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا ، وتطاوعا ولا تختلفا (٣) » ، وقصدا اليمن في شهر شوال أو ذي القعدة من السنة التاسعة الهجرية ، كما ذكرنا ذلك من قبل .

فما هي المزايا التي اجتمعت في أبي موسى ، فأهلته ليصبح سفيراً نبوياً ؟ من مزاياه الإيمان الراسخ بالإسلام ، والانتماء القاطع لهذا الدين ، وإثبات إيمان أبي موسى وانتمائه حديث معاذ ، فهو معروف بإيمانه ، لا يجادل في صدق إيمانه اثنان ، ويتفق من يحبه ومن لا يحبه بأنه مؤمن صادق الإيمان ، وأنه ربط مصيره بالإسلام ، يخلص له أكثر مما لأمه وأبيه وأولاده وذويه وفصيلته التي تؤويه ، وولأؤه كله للإسلام ، فإذا تعارض ولأؤه لدينه بولائه لأقرب المقربين إليه ، فضل دون تردد ولأؤه للإسلام على ولائه لأقرب المقربين إليه : بل إذا تناقض ولأؤه لمصلحته الذاتية بولائه لدينه لم يختار إلا الولاء لدينه حتى إذا سحقت مصلحته الذاتية من أجل المصلحة العامة للمسلمين فإنه لا يتردد لحظة في سحق مصلحته الذاتية إعلاءً لكلمة الله ، لتكون كلمة الله هي العليا .

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٣٠/١) .

(٢) أخبار القضاة (١٠٠/١ - ١٠١) .

(٣) انظر أخبار القضاة (١٠١/١) .

ومن مزاياه سفيراً نبوياً ، الفصاحة ، والعلم ، وحسن الخلق ، وقد كانت الفصاحة في أيام أبي موسى ، وهو من العرب الذين نشأوا في محيط عربي خالص ، بعيد عن الاختلاط بالعجم ، هي السائدة بين العرب ، وكان اللحن قليلاً بينهم ، وهو الذي قيل في وصف فصاحته : « ما كنا نشبه كلام أبي موسى إلا بالجزار الذي لا يخطئ المفصل (١) » .

وكتب أبو موسى إلى رجل من المسلمين : « أما بعد ، فإنني عاهدتك على أمر وبلغني أنك تغيرت ، فإن كنت على ما عهدتك فاتق الله ودم ، وإن كنت على ما بلغني فاتق الله وعد » (٢) وفصاحته بالإضافة إلى حكمته واضحة في هذا الكتاب .

وقال أحدهم لأبي موسى في طاعون وقع : « اخرج بنا إلى وابق نبذوا بها » ، فقال : « إلى الله أبق لا إلى وابق » (٣) ، وفصاحته في هذا الخطاب واضحة ، وإيجازه البليغ واضح أيضاً .

وقد كان أبو موسى عالماً كما فصلنا ذلك في فقرة : (العالم) خلال الحديث عنه إنساناً ، فقد كان من علماء الأمة المعدودين ، ومن الذين يفتون على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومن قضاته وقضاة الخلفاء الراشدين الأربعة ومن أبرز معلمي القرآن الكريم والفقهاء والمحدثين ، وقد خلفه النبي صلى الله عليه وسلم في مكة بعد غزوة الطائف يعلم أهلها القرآن ويفقههم في الدين ، وبعثه إلى اليمن داعياً وقاضياً ، وكان يفتي في المدينة ويقتدى به على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) ، وكل ذلك إن دل على شيء فإنما يدل على علمه وفضله ، فقد كان من قادة الفكر الإسلامي الأولين الذين بنوا صرحه العظيم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم

(١) طبقات ابن سعد (١١١/٤) .

(٢) العقد الفريد (١٥١/٣) .

(٣) طبقات ابن سعد (١١١/٤) .

(٤) طبقات ابن سعد (٣٣٤/٢ - ٣٥٤) وانظر أصحاب الفتيا لابن حزم - ملحق بجوامع السيرة - (٣٢٠) .

وخدموه بكل أمانة وصدق وإخلاص فانتشر الذين تلقوا العلم عليهم في البلاد ونشروا عملهم شرقاً وغرباً.

وكان على جانب عظيم من حسن الخلق ، تتمثل فيه المثل العليا الإسلامية التي وردت في الكتاب العزيز وفي السنة النبوية ، فكان أبو موسى حسن الخلق تمثل بشراً سوياً ، يمشي على الأرض ، ويرتاد الأسواق ، ويأكل الطعام ولكنه أسوة حسنة لغيره في الخلق الكريم .

ومن مزاياه سفيراً نبوياً، الصبر الجميل، والحكمة البالغة لقد وردت كلمة: صبر، ومشتقاتها في أربع ومائة آية من آيات الذكر الحكيم (١)، ومن الطبيعي أن يتأثر أبو موسى بتعاليم القرآن التي تأمر بالصبر وتبشر الصابرين، وتنهى عن الجزع واليأس والقنوط وتخوف الذين يجزعون وييأسون ويقنطون وسيرته تدل على أنه كان من أكابر الصابرين، فقد صبر على أيام العسر والشدة في حياته، وما أكثرها وأعسرها وأشدّها، ولا نعلم في سيرته موقفاً واحداً انهار فيه، فقد صبر في الضراء صبر المؤمنين المحتسبين الشاكرين، فكان شاكراً في السراء والضراء وحين البأس لأنه كان من الصابرين.

ويبدو أنه بالإضافة إلى تأثيره البالغ بتعاليم الإسلام في الصبر الجميل، كان بطبيعته له استعداد على الصبر، فهو هادئ الطبع رضي النفس غير متسرع ولا عصبي المزاج، فهو من أولئك النفر الصابرين بطبعهم ، فزادته تعاليم الإسلام في الصبر نوراً على نور.

أما تمتعه بالحكمة البالغة ، فيكفي أن ندلل على ذلك بنجاحه الباهر في أعماله الكثيرة داعياً وقاضياً ووالياً ومعلماً ومرشداً ومجاهداً وجندياً وإنساناً، وفي السلم والحرب .

فقد بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قاضياً وأميراً ومعلماً، وبعد

(١) انظر التفاصيل في المعجم المفهرس (٣٩٩ - ٤٠١) .

عام تقريباً أضاف إليه واجباً جديداً هو توليته جزءاً من اليمن ، ولو لم ينجح في واجباته الأولى لما أضاف إليه واجبات جديدة وبقي على عمله في اليمن أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثم أصبح قاضياً لعمر بن الخطاب وواليا على البصرة وعلى الكوفة ثم على البصرة ، فلما رحل عمر كان في وصيته إقرار أبي موسى أربع سنوات على عمله وإقرار عماله الآخرين سنة واحدة ، وهذا التمييز في المدة دلالة على نجاحه في عهد عمر بن الخطاب نجاحاً لم يصل إليه غيره من الولاة .

وبقي على البصرة أيام عثمان بن عفان ، فلما أعفي من ولاية البصرة وأوى إلى الكوفة ، اختاره أهل الكوفة أميراً عليهم وحملوا عثمان على إقرار اختيارهم له ، وهو أول والٍ في الإسلام يولى باختيار الناس له لا بتوليته من الخليفة .

وكان بإمكانه أن يبقى على الكوفة في عهد علي بن أبي طالب ، ولكنه اختار لنفسه الاعتزال عن الفتنة ، فنحى عن الكوفة ، ولكن أهل الكوفة اختاروه ليمثلهم في التحكيم ، وحملوا علياً على إقرار هذا الاختيار . أما نجاحه في القتال ، فيكفي أن نذكر ، أنه فتح تسع مناطق بالصلح ، وفتح منطقة واحدة بالقتال .

ونجاح أبي موسى في أعماله الكثيرة في أيام السلام ، وبخاصة في البصرة والكوفة ، وهما المصران اللذان لا يرضيان عن والٍ ولا يرضى عنهما والٍ وإدارتهما من أصعب الأمور وأعقدها ، دليل على حكمته البالغة . ونجاحه في أعماله العسكرية حشداً وجهاداً وقيادة ، وتحقيق أهدافه بالصلح في تسعين بالمائة من المناطق التي فتحها ، وبذلك أنجز فتوحه بخسائر في الأرواح لا تكاد تذكر ، دليل على حكمته البالغة .

ومن مزاياه سفيراً نبوياً ، سعة الحيلة ، فقد كان ألمعي الذكاء ، متزن العقل ، سديد الرأي ، يتسم بالأنانة والصبر والحكمة ، لذلك كان واسع الحيلة ، يجد لكل معضلة مخرجاً ، ولكل مشكلة حلاً مناسباً ، وبخاصة وهو يستعين بالشورى على إيجاد الحلول المناسبة ، فلا يستقل بإعطاء القرار دون

رجاله ، ويشاركهم في وضع الحلول للمشاكل والمعضلات .

ومن مزاياه سفيراً نبوياً ، رواء مظهره ، فقد كان شكله إنساناً ليس جميلاً ، ولكنه مقبول غير منفرّ على العموم ، بسيط الثياب ولكنها نظيفة ، نظيف البدن يديم نظافته بالوضوء .

وعلى كلّ حال ، فقد كانت سفارته إلى اليمن ، لا إلى دولة أجنبية كالفرس والروم ، أو إلى عرب لهم صلة مباشرة بالفرس والروم ، فقد كان رواء مظهر سفراء النبي صلى الله عليه وسلم إلى أولئك الملوك والأمراء متميزاً . أما سفراء النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك العرب وأمرائهم في الجزيرة العربية ، فلم يكن رواء المظهر للسفير النبوي شرطاً أساسياً .

لقد كان أبو موسى سفيراً ، راسخ الانتماء للدين الحنيف ، عميق الإيمان بالإسلام ، فصيحاً ، عالماً ، حسن الخلق ، صابراً ، حكيماً ، يتسم بسعة الحيلة ، ورواء مظهره مقبول ، لذلك نجح في سفارته نجاحاً كبيراً .

أبو موسى في التاريخ

يذكر التاريخ لأبي موسى ، أنه كان من المسلمين الأولين الذين اعتنقوا الإسلام بمكة المكرمة قبل الهجرة إلى الحبشة .

وأنه له فضيلة ليست لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاجر ثلاث هجرات ، هجرة من اليمن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وهجرة إلى الحبشة من بلده اليمن ، وهجرة من الحبشة إلى المدينة^(١). ويذكر له ، أنه نال شرف الصحبة ، وشرف الجهاد تحت لواء النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/٢٦٨) .

ويذكر له ، أنه علم أهل مكة القرآن والفقّه في الدين بعد عودة النبيّ صلى الله عليه وسلم من غزوة الطائف إلى المدينة المنورة .

ويذكر له ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم أرسله ومعاذ بن جبل إلى اليمن داعين إلى الإسلام ، فأسلم عامة أهل اليمن .

ويذكر له أنه كان من عمال النبيّ صلى الله عليه وسلم وقضاته ودعائه .

ويذكر له ، أنه كان يفتي بالمدينة المنورة ، ويقتدى به ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك .

ويذكر له ، أنه كان من عمال الخلفاء الراشدين الأربعة ، ومن قادة الفتح الإسلامي العظيم .

ويذكر له ، أنه أول عامل في الإسلام ، اختاره الناس عاملاً لهم ، وحملوا الخليفة على إقرار اختيارهم .

ويذكر له ، أنه فتح عشر مناطق واسعة من بلاد فارس تسع مناطق منها صلحاً ، ومنطقة واحدة بالقتال .

ويذكر له ، أنه كان أحد الحكمين في التحكيم بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان لإيقاف الاقتتال بين المسلمين .

ويذكر له ، أنه اعتزل الفتنة الكبرى مع من اعتزل من كبار الصحابة ، فلم يشارك فيها بلسانه ولا بيده ولا بسيفه .

ويذكر له ، أنه كان أحد علماء الأمة الستة ، وأحد قضاة الأمة الأربعة^(١)، وأحد معلمي القرآن الكريم الكبار ، وأحد المحدثين الأولين ، وأحد أساطين الفكر الإسلامي والعلوم الإسلامية الأقدمين .

(١) تهذيب التهذيب (٥/٣٦٣) .

ويذكر له ، أنه كان من ألمع ولاة المسلمين الأولين ، ومن أقدر الإداريين حكماً وبناءً وفتحاً .

ويذكر له ، أنه كان إماماً في علوم القرآن وتعليمه ، إماماً في الحديث النبوي الشريف ، إماماً في الورع والتقوى ، إماماً في القضاء ، إماماً في الإدارة وأن مناقبه كثيرة جداً .

ويذكر له ، أنه كان يصدر في كل أعماله عن عقيدة راسخة يؤمن بها أعمق الإيمان ، ويضحى من أجلها كل التضحية ، فلا يميل مع الهوى ، ولا يرجو لنفسه من متاع الدنيا ما يرجوه لأنفسهم أكثر الناس ، فاعتزل الفتنة خوفاً من الله لا خوفاً على نفسه ، فخسر كل شيء وربح نفسه .

ويذكر له ، أنه عاش فقيراً ومات معدماً ، وكل سلواه أنه خدم الإسلام والمسلمين بصدق وإخلاص ، وسخر نفسه لعقيدته وإخوته ، ولم يسخر عقيدته وإخوته لنفسه .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، المؤمن الصادق ، الورع التقى ، العالم المحدث ، المعلم الفقيه ، القاضي العادل ، والإداري الحازم ، البطل الشجاع ، المجاهد الصابر ، القائد الفاتح ، أبي موسى الأشعري .